PDF Complete
Your complimentary use period has ended. Thank you for using PDF Complete.
Click Here to upgrade to Unlimited Pages and Expanded Features

الجمهورية الجزائرية الديـ
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة وهـــــران

كلية العلوم الاجتماعية

مذكرة تخرج لنيل دبلوم دراسة ما بعد التدرج المتخصص
في
– الوسيط المعاصر للثقافة –

الموسومة ب:

الحداثة و الطب البديل

إعداد الطالب:
روابحي محمد

الأستاذ المشرف :
الدكتور جرادي العربي

السنة الجامعية 2011/2010

PDF Complete
Your complimentary use period has ended. Thank you for using PDF Complete.
Click Here to upgrade to Unlimited Pages and Expanded Features

المحتوى

- **مقدمة**

- الفصل الأول : إشكالية الحداثة

- مقدمة.....01
- ماهية الحداثة 01
- إشكالية التعريف.....04
- نشأة الحداثة و مراحل تطورها.....05
1- حركة الإصلاح الديني.....06
2- التفكير الفردي العقلاني.....07
3- حركة الاستنارة.....08
- الأسس البنيوية لفكر الحداثة الغربية.....09
- المنهج في فكر الحداثة.....11
- مستويات التحولات الفكرية العامة للحداثة.....13
- على مستوى المعرفة.....14
- على مستوى الطبيعة.....15
- على مستوى التاريخ.....16
- الثورة الطبية الحديثة.....17

- الفصل الثاني : فلسفة الطب الحديث

- مقدمة.....20
- تعريف علم الطب.....20
- نشأة الطب و تطوره.....20
- النسق العام للطب القديم.....21
- النسق العام للطب الحديث.....24
- التدخل الطبي.....28
- إشكاليات في الطب الحديث.....29
- الأبحاث الطبية.....29
- العلاقة بين المريض و الطبيب.....30
- أثر و خطورة بعض الأدوية الكيماوية.....31

PDF Complete
Your complimentary use period has ended. Thank you for using PDF Complete.
Click Here to upgrade to Unlimited Pages and Expanded Features

- الأدوية المغشوشة و مخاطرها.....
- هيمنة و احتكار الشركات المصنعة للأدوية.....33
- إشكالية التخصص في الطب الحديث.....37
- نتائج الثورة الطبية الحديثة.....38

- **الفصل الثالث : أصول الطب و مبادئه الأولى**

- مقدمة.....40
- أصول الطب في بلاد الرافدين.....41
- الطب عند قدماء المصريين.....42
- الطب الصيني القديم.....44
- الطب الهندي القديم.....45
- الطب اليوناني القديم.....47
- الطب العربي الإسلامي.....49

- **الفصل الرابع : الطب البديل**

- مقدمة.....50
- تعريف الطب البديل.....54
- أسس و قواعد الطب البديل.....55
- ماهية المرض في الطب البديل.....56
- أسباب ظهورالطب البديل.....57
- أوجه الاختلاف بين الطب البديل و الطب الغربي.....58
- الطب البديل وأمراض العصر.....60
- فروع الطب البديل: الوخز بالإبر.....61
- الطب الروحاني.....62
- الطب التجانسي.....63
- طب الأعشاب.....65
- الحجامة.....67
- الماكروبيوتيك.....68
- فن اليوغا.....69
- أهمية الطب البديل.....70
- **خاتمة**.....72

Your complimentary
use period has ended.
Thank you for using
PDF Complete.
Click Here to upgrade to
Unlimited Pages and Expanded Features

Your complimentary use period has ended. Thank you for using PDF Complete.
Click Here to upgrade to Unlimited Pages and Expanded Features

المقدمة

يحتل موضوع الحداثة موقعاً فكرياً بارزاً في عالمنا المعاصر، ويطلق مصطلح الحداثة بوجه عام على مسيرة المجتمعات الغربية منذ عصر النهضة إلى اليوم، و هذا الوعي الجديد لمتغيرات الحياة، و المستجدات الحضارية و الانسلاخ من أغلال الماضي، و الانعتاق من هيمنة الأسلاف ليست ظاهرة مقصورة على فئة أو طائفة أو جنس بعينيه. بل هي استجابة حضارية للقفز على الثوابت، و تأكيد مبدأ استقلالية العقل الإنساني اتجاه التجارب السابقة .وبالرغم من أهمية هذا المفهوم وشيوعه في الفكر المعاصر، إلا انه أكثر التباسا وتعقيدا لما ينطوي عليه من غموض وارتباطه بحقول معرفية عديدة واستخدامه في مجالات مختلفة وتوازي معناه مع مسيرة الحضارة الغربية الحديثة، التي أفرزت إشكاليات رافقت الحداثة وما بعدها، وكذلك تعدد أبعاده ومدلولاته وشموليته لمستويات من الوجود الإنساني، العلمية والتقنية والاقتصادية والسياسية والأدبية والفنية والفلسفية والتداخل فيما بينها. هذه المسيرة التي أصبحت الآن محل مراجعة من جانب الفكر الغربي نفسه.

و لقد كانت الأسس التي أفرزتها الحداثة و صاغت المعرفة الغربية على نحو ما شاهدنا في المفهوم الجديد للعقل قد صيغت من داخل النسق الثقافي الغربي ذاته، ومن داخل الحركة التاريخية التي مرّ بها، فهو متأثر إلى حد بعيد بالمسألة الدينية، كما تجلت لديه في دور الكنيسة السياسي ومحاربتها للعلم، بحيث أصبح لازماً لكي تتحرر المعرفة أن تستبعد سلطة الدين، وهي سلطة تأسست على ركيزة ادعاء امتلاكها للحقيقة "الكلية" التي تنتهي إليها المعارف الجزئية. هذا فيما كانت المعرفة في الحضارة الإسلامية على علاقة حميمة مع الدين، بل إنها انطلقت بتأثيره.

والآن، وبعد قرون من مضي البحث الغربي، تكاد المعرفة الغربية الحداثية تستنفذ طاقتها، فكل ما أنتجه فكر الحداثة بات الآن ماضياً في نسق معرفي ثابت، بحيث أصبح ثمة إدراك عميق لدى علماء العلوم الطبيعية الحديثة –كما يشير الدكتور عبد الوهاب المسيري– بأن المعرفة الكلية أو حتى شبه الكلية مستحيلة، وبأن رقعة المجهول تتزايد بنسبة أكبر من تزايد المعلوم، وبأن معرفتنا العلمية المادية، عن الواقع ليست يقينية، وإنما احتمالية إلى حد كبير.. وذلك بسبب استحالة تفسير الواقع كليًّا اعتمادا على التفسير المادي.

والطب كغيره من العلوم يتأثر بالمنهج العلمي السائد و المتبع، الذي استجدته الحداثة، حتى أن المتتبِّع للمسيرة الطبية يستطيع اليوم أن يميز بين فلسفتين أساسيتين للطب: الأولى فلسفة المذهب المادي الآلي التجزيئي التجريبي ، والثانية فلسفة المذهب الكلي الحيوي التي تنظر إلى الإنسان بوصفه كياناً واحداً

PDF Complete
Your complimentary use period has ended. Thank you for using PDF Complete.
Click Here to upgrade to Unlimited Pages and Expanded Features

متكاملاً، إذا اعترى عضو من أعضائه المرض، مرض الكل والحمى. ولكن هذه الثورة الطبية التي ترتكز على القطيعة الابستمولوجية مع التاريخ الطبي للإنسانية ، و معاداة كل ماله صلة بالماضي، لم تحقق ما كانت تصبو إليه الإنسانية في هذا المجال.فلقد فشل هذا الطب الغربي في معالجة عدد كبير من الأمراض التي توصف ب"المستعصية"هذا ما أدى إلى ظهور اتجاه جديد في عدد كبير من دول العالم نحو ما يسمى "الطب البديل"، الذي يعتمد في شكل أساسي على الأعشاب في مداواة المرضى عوض استخدام الأدوية المركبة التي تسبب عوارض جانبية بمقدار ما تعالج أمراضا وآلاما. ومن هذا المنطلق تتجلى لنا إشكالية فكرية و علمية، تطرح نفسها بصورة قوية تدعو إلى البحث العلمي من أجل الوصول إلى الحقيقة العلمية. و تتمثل هذه الإشكالية ما مصداقية الأسس و المناهج العلمية التى أنتجتها الحداثة المتبعة فيما اصطلح عليه بالطب الغربي الحديث ? وهل استطاع هذا الطب خدمة الإنسانية و تحقيق الأهداف المرجوة منه. وهل يمكن اعتبار ظهور ما يسمى بالطب البديل، دلالة على عدم بلوغ الطب الغربي إلى الأهداف المرجوة منه، و إن كان هذا الزعم لا يخلو من الصحة، فما حقيقة هذا الطب البديل.

وفي ضوء هذه الإشكالية يحاول هذا البحث المتواضع إعادة التفكير مرة أخرى في أسئلة محرقة، ما فتئت تتكرر في عدد كبير من الدراسات والمقالات، التي اهتمت بنقد و تمحيص ما تمخض عن الحداثة الغربية في المجال الطبي، وتبيان سلبيات و ايجابيات الطب الحديث. و خاصة هذه الثورة العلمية على كل ماهو ماض. و من أجل الوصول إلى إجابات لهذه الأسئلة، قد تقربنا من الحقيقة العلمية قسمنا هذا البحث إلى أربعة فصول، متناسقة و متصلة فيما بينها من حيث الترتيب. ففي الفصل الأول تعرضنا للحداثة بشكل خاص، من حيث ماهيتها فقد حاولنا ضبط مفهوم هذه الأخيرة، ثم تبيان مراحل تطورها و نشأتها مع إظهار و توضيح أهم الأسس و البنى الفكرية، التي ارتكزت عليها في عملية التأسيس، وصولا إلى محاولة لفهم حقيقة المنهج المعتمد عليه. و في نهاية هذا الفصل قمنا بدراسة للمستويات الفكرية و العلمية التى مسها هذا التحول الذي فرضته الحداثة، وخاصة في مجال المعرفة عموما، و مجالات و حقول الطب خصوصا. أما الفصل الثاني فهو عبارة عن موازنة بين الطب القديم و الطب الحداثي– الذي جاءت به الحداثة– و قد ارتأينا إلى إعطاء نظرة ولو موجزة عن نشأة الطب و تطوره منذ القدم. ثم بينا النسق العام للطب القديم، وفي المقابل كذلك أوضحنا نسق الطب الحديث. وتمخض عن ذلك وضع موازنة تشمل مجموعة من الأسس، كل أساس له ما يقابله في الجانب الآخر. وفي الفصل الثالث وضعنا دراسة لأصول الطب القديم، ومراحل تطوره عبر مختلف الحضارات التي عرفتها الإنسانية. أما الفصل الأخير فهو دراسة تعريفية و توضيحية للطب البديل، من خلال تعريفه و توضيح أسسه وقواعده، مع القيام بنظرة على أهم فروعه.

Your complimentary
use period has ended.
Thank you for using
PDF Complete.
Click Here to upgrade to
Unlimited Pages and Expanded Features

Your complimentary use period has ended. Thank you for using PDF Complete.
Click Here to upgrade to Unlimited Pages and Expanded Features

الفصل الأول

إشكالية الحداثة

PDF Complete
Your complimentary use period has ended. Thank you for using PDF Complete.
Click Here to upgrade to Unlimited Pages and Expanded Features

- مقدمة:

ارتبطت فكرة الحداثة في أوربا منذ القرن السادس عشر الميلا
تسّير واقع المجتمعات الأوربية، وتحدّ من قدرة الفرد، في إطار السعي إلى طمس إرادته وتجميد عقلنته، فدعت إلى انتصار العقل ومحاربة التسلط الميثيولوجي والقومي المفروضين من الخارج، فمن المستحيل أن نطلق كلمة حديث عل مجتمع يسعى قبل كل شيء لأن ينتظم ويعمل طبقا لوحي إلهي أو جوهر قومي. ليست الحداثة مجرد تغيير أو تتابع أحداث إنها انتشار لمنتجات النشاط العقلي، والعلمية، التكنولوجية والإدارية، فهي تتضمن عملية التمييز المتنامي لعديد من قطاعات الحياة الاجتماعية، والسياسية والاقتصادية والحياة العائلية، والدين والفن على وجه الخصوص. لأن العقلانية الأداتية تمارس عملها من داخل مجال النشاط نفسه، وهي بذلك تستبعد أن ينظم أيّ من أنماط النشاط هذه من الخارج، أي انطلاقا من اندماجه في رؤية عامة.و هذا ما يطرح التساؤل، و يثير إشكالية فكرية فحواها وهي : هل يمكن ضبط التصور المعرفي لمفهوم الحداثة بصورة عامة هذا سؤال يحتاج إلى تفكيك وتركيب حتى يمكن الإجابة عنه. أو بعبارة أخرى تحليل إلى عناصر أوّلية، لنفهم المنهج الذي بنيت على أساسه هذه الحداثة، والأسباب المباشرة التي أدت إلى ظهور فكر الحداثة. ثم تركيب لهذه العناصر، حتى نستطيع الإجابة عنه، باعتباره يعالج قضية مكتملة الصورة في أذهاننا .

- ماهية الحداثة :

- التعريف اللغوي:

ُتعرِّف الحداثة - لغةً - بأنها مشتقَّة من مادة "ح د ث"، وفي اللغة يُقال: "حدث حدوثًا وحَداثةً فهو حديث"، ويُقال: (حَدَثَ) في مقابل (قَدُمَ)، والمفترض - لغةً - أن الحداثة مقولة إضافية، أي: بالإضافة إلى قديمٍ سبقه، وبعد الزمن داخل في المفهوم، إذن كل حديث سيعود قديمًا، وكل قديم كان حديثًا بالقياس إلى ما كان قبله"

و في معاجم اللغة العربية في مادة (حدث) نرى أن الحديث: نقيض القديم، والحديث: الخبر يأتي على القليل والكثير، ويجمع على أحاديث على غير قياس. والحدوث: كون الشيء حدث بعد أن لم يكن... واستحدثت خبراً: أي وجدت خبرا جديدا، وتقول: افعل هذا الأمر بحدثانه وبحداثته أي: في أوله وطراوته. ومستحدثات: مولدات وحديث السن وغلمان. فللمصطلح جذرعربي له دلالة من حيث مشتقاته فهو يعني: الجدة - الشباب - أول الأمر وبداءته – حدوث شيء لم يكن – الخبر إلى غير ذلك من المعاني، لكنه عند الترجمة من اللغة الأجنبية إنجليزية كانت أو فرنسية نجد اللبس والغموض والاضطراب والتفاوت واقعا ظاهرا، وهذا لا شك ينقل الاضطراب والتفاوت إلى المفهوم والتعريف الاصطلاحي كما سنرى فيما يأتي . وعلى ضوء هذه التعريفات تصبح الحداثة في مأزق لغوي عَصِيٍّ على الاستيعاب والفهم؛ لأن ما هو حديث اليوم سيصير قديمًا غدًا، وقد قيل: كُلُّ غدٍ صائِرٌ أمْسًا.

وفي اللغات الأجنبية (الإنجليزية والفرنسية) نجد أن كلمة حداثة لفظ أوربي المنشأ، ففي الإنجليزية لفظان: (Modernism) و(modernity) ومثلهما في الفرنسية، والترجمة العربية لهذين المصطلحين تختلف من حداثة إلى عصرية إلى معاصرة، ويمكن تعريفهما على النحو التالي:

1- Modernity: تعني المعاصرة والعصرية، وتعني المعاصرة هنا إحداث تغيير وتجديد في المفاهيم السائدة، والمتراكمة عبر الأجيال نتيجة تغيير اجتماعي أو فكري أحدثه اختلاف الزمن.

2- Modernism : تعني الحداثة التي هي كما يعتبرها بعض المفكرين مذهب أدبي أو نظرية فكرية تدعو إلى التمرد على الواقع، والانقلاب على القديم الموروث بكل جوانبه ومجالاته.

وهناك آخرون يجعلون كلمة (Modernism) لفظاً دالاً على حب الجديد، كما يدل على العصرية، ثم تطور حتى غدا مصطلحاً له دلالة على مذهب الحداثة المعلوم في الأدب كما سيظهر.

أما كلمة Modernity فهي تصف الزمن الثاني لهذه الحقبة كما تصف حداثة الأدب بكونه عصريا".

- التعريف الاصطلاحي للحداثة:

عند تعريف الحداثة اصطلاحا نجد أننا أمام كم هائل من التعريفات، وتعريفها بلسان أصحابها يحوطه الغموض واللبس والاضطراب، ولذلك سبب سنبينه فيما بعد. وللحداثة تعريفات عند أهلها الأصليين التي نشأ المصطلح بينهم وفي بيئتهم، ولها تعريفات عند دعاتها الذين هم أبواق الغرب في بلادنا، وكذلك

PDF Complete
Your complimentary use period has ended. Thank you for using PDF Complete.
Click Here to upgrade to Unlimited Pages and Expanded Features

عرفها الرافضون لها من المسلمين وغيرهم. وقد عرف رو
يتوصل الإنسان المعاصر إلى السيطرة عليه فيقول : " في ال
شهوات الإبداع في الثورة المعرفية مولدة في سرعة مذهلة ، وكثافة مدهشة افكارا جديدة ، واشكالا غير مألوفة ، وتكوينات غريبة ، و[1]أقنعة عجيبة ، فيبقى بعض الناس منبهرا بها ، ويقف بعضهم الآخر خائفا منها ، هذا الطوفان المعرفي يولد خصوبة لا مثيل لها (1)، ولكنه يغرق أيضا " كما يصفها بعض الباحثين الغربيين " بأنها زلزلة حضارية عنيفة ، وانقلاب ثقافي شامل ، وأنها جعلت الإنسان الغربي يشك في حضارته بأكملها ، ويرفض حتى أرسخ معتقداته الموروثة " (2).
على صعيد اللسان الغربي كذلك نجد أن الحداثة"تجسد صورة نسق اجتماعي متكامل، وملامح نسق صناعي منظم وآمن وكلاهما يقوم على أساس العقلانية في مختلف المستويات والاتجاهات وهذا التعريف عند (ماركس وإميل دور كايم، وماكس فيبر). وهي عند "جيدن": تتمثل في نسق من الانقطاعات التاريخية عن المراحل السابقة حيث تهيمن التقاليد والعقائد ذات الطابع الشمولي الكنسي"(3).

ويعرف الفيلسوف الألماني " كانت " الحداثة في سياق إجابته عن سؤال ما الأنوار فيقول: "الأنوار أن يخرج الإنسان من حالة الوصاية التي تتمثل في استخدام فكره دون توجيه من غيره"(1). وباعتبار أن (كانت) من آباء الحداثة الغربية فإنه يؤكد "في كل أعماله أن شرط التنوير والحداثة هو الحرية.... بمعنى أن العقل يجب أن يتحرر من سلطة المقدس ورجال الكهنوت والكنيسة وأصنام العقل.
ويصف لنا (جوس أورتيكا كاسيت) الحداثة قائلا: "إن الحداثة هدم تقدمي لكل القيم الإنسانية التي كانت سائدة في الأدب الرومانسي والطبيعي، وأنها لا تعيد صياغة الشكل فقط بل تأخذ الفن إلى ظلمات الفوضى واليأس"(2)، والحداثة عند(تورين) باختصار هي استبدال فكرة الله بفكرة العلم، وتقصر الاعتقادات الدينية على الحياة الخاصة بكل فرد.
وتوصف الحداثة بأنها حركة إلى الأمام، تبحَث عن شرعيَّة المستقبل، في محاولة لاجتياز التكسُّر الثقافي، الذي تَرتَّب على فقدان الماضي لشرعية التاريخ"؛ لذلك وصفوا التاريخ بالسِّجن؛ إذ قال حداثي أمريكي: "مشكلتكم أنكم تنظرون إلى الوراء، وبهذا أصبحتم سُجناءَ الماضي"(3).
ويعرّفها آلن أوين بأنها: "الفصل المتعاظم بين عالم الطبيعة الذي تديره قوانين يكتشفها ويستخدمها الفكر العقلاني، وبين عالم الذات الذي يختفي فيه كل مبدأ متعال لتعريف الخير"(4). بينما يرى ماكس فيبرأن الحداثة هي فصم الائتلاف والوحدة بين السماء والأرض مما يخلي العالم من وهمه ويلغي سحره. ويذكر قاموس ويبستر (Webster) "بعض معانيها الأساسية التي تعنينا بشكل خاص على النحو التالي:"ممارسة، استعمال، أو تعبير خاص أو مميز للأزمنة الحديثة: طريقة للعيش أو التفكير مميزة لأزمنة الحديثة، فلسفة وممارسات الفن الحديث، وبخاصة خروج ذاتي واع ومقصود على الماضي، وبحث عن أشكال جديدة للتعبير في أي فن من الفنون.
يقول ألان تورين "إننا لا نبالغ لو قلنا إن العلامة الأكيدة للحداثة هي رسالة العداء للحداثة! التي تبثها الحداثة، والتي تتسم بالنقد الذاتي والتدمير الذاتي! وهي طبقاً لقانون بود لير جلاَّد نفسه.
أما التعريف الأكثر تبسيطا فيعتبر الحداثة هي كل ما يساعد في رفاهية الناس، ويؤدي إلى تسهيل شؤون حياتهم اليومية في المجالات المختلفة، مستخدما وسائل متطورة تحقق أعلى منفعة، بصورة تتواءم مع روح ومقتضيات العصر، ومستخدما المناهج العقلانية والتجريبية. في حين تمثل الحداثة
2

1- علي وطفة، مقاربات في مفهومي الحداثة وما بعد الحداثة، مجلة فكر ونقد –عدد (34) ص : 5

2- عدنان علي رضا النحوي، نظرية تقويم الحداثة ،الطبعة الأولى – دار النحوي للنشر والتوزيع سنة 1992م ص : 29

3- نفس المصدر ص : 31

[1]- ستيوارت هامبشير، عصر العقل، ترجمة ناظم طحان، دار الحوار، اللاذقية سنة 1986 ،ص : 22

2- المصدر السابق ذكره ص : 34

PDF Complete
Your complimentary use period has ended. Thank you for using PDF Complete.
Click Here to upgrade to Unlimited Pages and Expanded Features

اصطلاحا الخط الثقافي الذي يتناول القضايا القانونية والسياس
الإنساني على أساس العقل بما يعني ضرورة أن يكون العقل
العلم يختزن في العقل على اعتبار أن الأول هو نتاج للعقل التأملي والعقل التجريدي، وبالتالي فالحداثة من موقعها الذاتي - الموضوعي، لا تنفتح على الماورائيات كقاعدة للبحث ، مما جعل العديد من الحداثيين، أدعياء الانتساب للحداثة، يؤكدون على أن الدين لا علاقة له بحركية الإنسان في الحياة في الجوانب العامة، وأنه نتاج عوامل ثقافية واجتماعية وإنسانية معينة، مما يعني عزله عن الغيب وما وراء الطبيعة كحقيقة.

- إشكالية التعريف:

رغم ما تكلفناه من عناء التعريف، فإنّ مفهوم الحداثة عند المحققين قاطبة يعتبر من المفاهيم المستعصية على التحديد. والسبب في استعصاء هذه الكلمة على التحديد أو في وجود إشكالية دلالية (سيمنطقية) فيها يعود إلى أمور عدّة نوجزها فيما يلي؛ السبب الفني، السبب اللغوي، السبب المعرفي والسبب الوصفي. السبب الفني حقيقة المصطلح هو أنه اتفاق طائفة معينة على تسمية شيء معيّن باسم معيّن. وحقيقة التعريف أنّه وصف لواقع ما. هذه الناحية الفنية في الاصطلاح والتعريف سبّبت إشكالا في دلالة لفظة الحداثة. ذلك، أنّ تعيّن الطائفة وتعيّن الاسم دون تعيّن الشيء ينتج الضبابية والاضطراب في الدال والمدلول. وتعيّن الوصف دون ضبط الواقع وزوايا النظر إليه مما ينتج الارتباك في الحدّ، ويمسّ بماهية الشيء أو الواقع المراد تحديده. أمّا عدم تعيين الشيء أو المضمون فعائد إلى أمور منها التذبذب في حقيقة البعد الزماني والمكاني للفظ. فمن المحققين من يلحّ على ارتباطه بالمفهوم، ومنهم من يقلّل من شأنه مركّزا على عالميته ومحاولا إفراغه من أي بعد زماني مرحلي أو مكاني جغرافي. · الحيرة في تحديد الأسبقية؛ أسبقية الحدث (أو الممارسة) أم اللفظ (أو النظرية)، وبعبارة لسانية؛ أسبقية الدال أم المدلول، الاضطراب في تحديد مصدرية أسس الحداثة أو مصدر استمدادها المعرفي. و كل هذه التعريفات التي وردت على ألسنة أهل الحداثة من الغربيين على اختلاف مشاربهم واتجاهاتهم، هي تشير في جملتها إلى عدة معان تبدو ظاهرة منها:

- أن الحداثة فكرة لا تقتصر على الجانب الأدبي فقط كما تصور البعض، إنما هي نظرية وفلسفة تعم وتشمل كافة الجوانب الحياتية اجتماعية كانت أم معرفية أم صناعية أم غيرها، وبالتالي فالحداثيون يقدمون تصورا هداما لحياة الناس يشمل مختلف نواحيها.
- الأساس الذي تقوم عليه فكرة الحداثة هو العقل والعقلانية التي تهدر معها كل ما لا يدركه العقل، فالعقل المتحرر من كل سلطان هو معيار أهل الحداثة بل هو السلطان الحاكم على الأشياء.
- الحداثة معاكسة مع الماضي وانقطاع عنه، فهي انفصال للحديث عن القديم، بل هي ثورة على كل قديم مقدس أو غير مقدس.
- إنها الحرية المطلقة التي لا يقف في طريقها ضابط، ولا يحكمها شيء.
- أن الحداثة لا تتحقق إلا بحركة الإنسان حرا طليقا دون وصاية عليه من أي جهة.
- الحداثة فكرة ضد الله والغيب، وفي ذات الوقت لا تتحقق إلا بعزل الدين عن شئون الحياة، وقصره على الشئون الخاصة بكل فرد.

فالحداثة إذن مصطلح واسع يشير إلى مذاهب وآراء وممارسات نقدية في الدين والأدب والمعمار والمجتمع. وتنطوي الحداثة في الغرب خاصة على رفض التقاليد ومحاولة إلغاء الماضي والبحث عن اتجاهات ورؤى جديدة تلغي الميتافيزيقا وتؤكد دور الفرد.

وهي ـ أيضا ـ موقف عام وشامل ومعارض للثقافات التقليدية السائدة.. الحداثة تدعو إلى إعادة النظر في كثير من الأشياء، والتحرر من كل القيود.. الحداثة ثورة على كل ما هو تقليدي في المجتمع.. الحداثة عملية تقدمية، حتى لو كان المخاض عسيرا، فهي تنشد عصرا جديدا يقترن بالتطور والتقدم وتحرر

3- علي وطفة، مقاربات في مفهومي الحداثة وما بعد الحداثة، مجلة فكر ونقد -عدد (34) ص : 6

4- المصدر السابق ذكره ص : 38

PDF Complete
Your complimentary use period has ended. Thank you for using PDF Complete.
Click Here to upgrade to Unlimited Pages and Expanded Features

الإنسان.. الحداثة رؤية فلسفية وثقافية جديدة للعالم..الحداثة ح
على مكونات وعناصر مثل التصنيع، العلمانية، الديمقراطية،
وفي المشاركة السياسية، وهي كثيرا ما تنتقد الموروث الثقافي الديني بهدف التغيير نحو الأفضل. الحداثة دعوة لانتصار العقل على النقل، وعرض المنقول من السلف لمنخل العقل مهما كان مصدره، من دون تقديس لأي نص، وتمريره بالتالي كحقيقة منزهة .

- نشأة الحداثة و مراحل تطورها :

إن الحداثة من المفاهيم التي جرى حولها جدل ولغط كبيران، فإذا كانت الحداثة انبنت بالأساس على المعنى اللغوي، فإنها حملت إيحاءات ومعاني ومضامين جديدة، جعلت من عملية التأريخ لنشأة الحداثة و ضبط الزمان و المكان لظهورها في غاية التعقيد. يرى المفكر الألماني -هابرماس (Habermas) - أن كلمة "حديث (Modern)" استُعملت لأوّل مرّة في القرن الخامس الميلاديّ للتّمييز بين عنصرين: أوّلهما الرومانيّ الوثنيّ وثانيهما الحاضر المسيحيّ المعترف به رسمياً(1). في حين يقول جان ماري دومينالك أن كلمة "حديث" ظهرت لأول مرة في التاريخ الأوروبي في القرن الرابع عشر. وأن مفهوم "الحداثة" لم يبرز إلا في العام 1850على يد شارل بودلير وجيرار دونرفال(2).

إلا أنّ بعض الباحثين يؤكّدون أنّ مصطلح الحداثة ظهر لأوّل مرّة في أوروبا في إحدى المجلاّت اللاّهوتية في العام 1892. وأنّ أوّل ظهور لهذا المصطلح كان في وثيقة كنسيّة، في العام 1905 في "رسالة الأساقفة الوعظيّة المسيحيّة الجامعة لشمال إيطاليا (3[1]).

ولكن المستقرئ لتاريخ التطور الإنساني يظهر له جليا أن كل ما وصل إليه الإنسان المعاصر تحقق بشكل تراكمي، و تطور من مرحلة إلى أخرى. كل مرحلة كانت تحمل في طياتها بذور المرحلة اللاحقة. و على هذا الأساس يمكن تقسيم نشأة الحداثة إلى عدة مراحل متكاملة فيما بينها و متلاحقة زمنيا.

1- حركة الإصلاح الديني :

لقد أدى الفساد الذي كانت تمر به الكنيسة الكاثوليكية في القرن السادس عشر الميلادي إلى تهيئة الأوضاع المناسبة لقيام حركة إصلاحية دينية ، أطلقها أحد القساوسة الألمان في عام 1517م ويدعى (مارتن لوثر) حيث قام في هذه السنة بتعليق خمس وتسعين رسالة دينية على جدار الكنيسة في ألمانيا ، وأرسل نسخاً من هذه الرسائل التي يحتج فيها على فساد الكنيسة إلى باقي الكنائس الأخرى.

لقد كانت تلك الرسائل إعلاناً تاريخياً عن بدء الحركة الإصلاحية البروتستانتية التي أحدثت انشطاراً في الكنيسة الكاثوليكية التي يتزعمها بابا الفاتيكان في روما.

وفي سنة 1520م أرسل مارتن لوثر خطاباً حاداً إلى البابا (ليو العاشر) جاء فيه : إنك ترعى ما يسمى بهيئة الكهنوت الرومانية التي لا تستطيع أنت ولا غيرك أن تنكر أنها أشد فساداً من بابل وسدوم ، وقد أظهرتُ احتقاري ، وانتابني الغضب لأن الشعب المسيحي يخدع تحت ستار اسمك ، واسم الكنيسة المسيحية ، لهذا قاومت ، وسأظل أقاوم ما وجد فيّ عرق ينبض بروح الإيمان(1[2]).

وهذا ما قاد إلى الشقاق البروتستانتي ضد الكنيسة والتمرد على سلطتها الروحية، و فتح المجال لضرورة إعادة تفسير الدين وقراءة النصوص الدينية في ضوء المعطيات العلمية والتاريخية والفلسفية التي وفرها القرن التاسع عشر، والنظر إلى الدين و نصوصه بعين ناقدة و صارمة و قد أثار هذا حفيظة الكنيسة الكاثولكية الرومانية التي أدانت الحركة وروّادها الذين خرجوا على مبادئ الدراسة النصرانية والتأويل المستقر الذي أرسى دعائمه توما الأكويني. وتجلى ذلك من خلال عنصرين :

---

[1]- هنري لوفيفر، ما الحداثة، ترجمة كاظم جهاد، دار ابن رشد للطباعة و النشر– 1983، ص : 19

2- نفس المصدر ص :25

3– رايموند ويليامز، طرائق الحداثة، ترجمة فاروق عبد القادر، عالم المعرفة العدد 246، ص :52

1– عدنان علي رضا النحوي، نظرية تقويم الحداثة ،الطبعة الأولى – دار النحوي للنشر والتوزيع سنة 1992م ص : 66

PDF Complete
Your complimentary use period has ended. Thank you for using PDF Complete.
Click Here to upgrade to Unlimited Pages and Expanded Features

– أنسَنَة الدِّين، أي: إرجاء الدين إلى الإنسَان، وإحلال الأساط
- تطبيق المبادئ النَّقدية الوَافِدة على النصوص المقدَّسة.
– وضع العمليَّة "أو العقلانيَّة" والدين على طرفَي نقِيض، على أساس أن: الدَين فِكر غيبيّ، يتعارض مع التفكير العلمِي والعقلاني.

2- التفكير الفردي العقلاني :

إن من نتائج حركة الإصلاح الديني هو أخذ مفهوم الحداثة لأبعاده الفلسفية والسياسية في القرنين 17 و18م حيث كان مدعاة لولادة التفكير الفردي والعقلاني، وكانت بداية هذا المنهج الجديد مع ديكارت صاحب مذهب الشك في القرن السابع عشر، أي إعمال العقل، وإعادة النظر في كل شيء.

و يتجلى ذلك من خلال عنصرين أساسيين و هما :

- أولا: النزعة النقدية القائمة على استبعاد مكونات الفكر الفلسفي والعلمي الوسيط الذي لم تمر مكوناته من منافذ المعرفة (الحواس والعقل) بل مرت إلى العقل عبر التبني.
- ثانيا: اعتمدت البنائية تشكيل منهج جديد ينجز المهمة الأولى (النزعة النقدية) ويرسم أبعاد نظرية معرفية جديدة للعالم وطبيعة ومجتمعا وإنسانا وينجز عن طريق الاعتماد على هذا المنهج إعادة قراءة التراث السابق وتقويمه من زاوية نقدية تقوم على اعتماد منهج علمي يباشر بهدم المرتكزات الفكرية لنظرية بطلموس والعمل على تشكيل مرتكزات جديدة تشكك بموقع المرتكزات السابقة وترفض اللاهوت وتعمل على بناء نظرية علمية وكان لـ(كوبرنيكوس) الفضل الكبير في بناء فلكية جديدة وأكدها (كلبر) ثم نشاط غاليلو الفلسفي والعلمي. ومن هذا المنطلق الواضح والمتميّز تنطلق الحداثة في تأكيدها على التمثل العقلاني للعالم ضمن جدلية اليقين بالذات والعالم أو هي علوية الذات في اختزالها للموضوعات باعتبارها النتاج الحتميّ للانقلاب الديكارتي، كانقلاب يسعى إلى تغيير الإنسان ووعيها بذاته وبالعالم وتشابك موضوعاته.

فلقد جاء هذا الانقلاب مؤكدا على تخليص الإنسان من سلطة المثال ـ أفلاطون ـ ومن سلطة غائية الحركة كما هي عند أرسطو، ومن سيطرة الكنيسة على تعاليمه وماهيته في مراوحتها بين البعدين الأرسطي والمسيحيّ، فلكي ينهض الإنسان كان بحاجة لقوة جديدة، قوة تتجاوز غائية السعي، أي قوة الكوجيتو في إرادته الواعية بالشك والواعية بتعالي ذاتها عن كل غائية فإذا هي ذات لا سعي لها غير العالم وفي مواضعته الجديدة كعالم يضع الأشياء والموضوعات محلّ يقين لا مجال للتنكّر له.

إنّ التفكيرالديكارتي يعلن لـ فلاسفة الأنوار من بعده جدلية في الرسم لا يمكن التغاضي عليها، هذه الجدلية قائمة على منطق جديد يعتبر الآن فحسب إعلان منتجاته للإنسان، والعقل وحده سيكون صانعا لقوانينه. وفي هذه الفترة كان معظم المفكرين الأوروبيين البارزين يؤكدون أهمية دور العقل ويلحون على أنه الوسيلة الوحيدة للوصول إلى الحقيقة. وقد قام العلماء بتطبيق عملية التفكير والاستنتاج في دراستهم للعامل المادي، وصاغوا الأحكام العامة للدراسات العلمية التي ما زالت تتبع حتى يومنا هذا.

3- حركة الاستنارة :

لم تشرع الحداثة الغربية في تلمس الوعي بذاتها، إلا بعد انقضاء ما يقارب ثلاث قرون على انطلاق ديناميتها في أوروبا الغربية، أي ابتداء من القرن 18 الأوروبي، الذي عرف بعصر الأنوار أو التنوير، عصر انتصار قيم الحرية والعدالة والديمقراطية والانفتاح أي عصر انتصار الفكر الفلسفي الحر الذي يحاول جادا تعرية واستبانت تهافت المؤسسة الكنسية وتقويض وتفكيك أخلاقيات الميتافيزيقا وما تحمله في طياتها من أساطير وخرافات التي تكبل تفكير الإنسان الأوروبي وتقيد عقله.

ونادت فلسفة الأنوار بإعطاء الأولوية القصوى للعقل حيث يقول كانط مجيبا على سؤال ما الأنوار: "إن معنى الأنوار خروج الإنسان من تبعيته وإمعيته، أي أن يملك الإنسان شجاعة استخدام عقله بنفسه"(1).

وظهور الحرية النقدية التي ليس لها حدود كما ينص على ذلك مؤسس العقلانية التنويرية في الغرب: ايمانويل كانط. فهو يقول بما معناه: "إن قرننا ـ أي القرن الثامن عشر، قرن التنوير ـ هو قرن النقد الذي ينبغي أن يخضع له كل شيء، بما فيه العقائد الدينية المسيحية الأكثر قداسة بالنسبة للشعوب

PDF Complete
Your complimentary use period has ended. Thank you for using PDF Complete.
Click Here to upgrade to Unlimited Pages and Expanded Features

الأوروبية"(2). فظهر هناك نقد لاذع لكل الأشياء والظواهر و
الموضوعات لمحك العقل، لأنه سيد العالم حسب هيجل، غير
العقل على اختراق الحدود التي فرضتها المؤسسة الكنسية والهيمنة اللاهوتية، بل تعترف له بقوته على تنظيم الحياة، ولم تعز مهمة النقد لهذا العقل بصورة عشوائية واعتباطية بل كان "كانط" يرى أنه "يتعين على كل شيء أن يخضع لمحك النقد" إلى درجة أن هناك من اعتبر هذا القرن "قرن النقد"(3).

هذا النقد ارتبط بحركة دينية وفلسفية شاملة، ابتدأت في أوروبا عامة وفرنسا خاصة، وهذا لا يعني أنها كانت منحصرة على الفلاسفة فقط، مصطلح فلسفة الأنوار، إنما يعني في العمق انبعاث الروح النقدية والتجديدية من رماد العصور الوسطى، تلك الروح التي شملت المقالات الفكرية الفلسفية والتآليف الموسوعية والإبداعات الشعرية الأدبية التي عملت بالشعار الكانطي القائل: "لنتسلح بالشجاعة الكافية حتى يعمل كل واحد منا عقله في كل ما هو مدعو إلى بحثه"(4).

ومن خلال ما سبق يظهر لنا أن عصر التنوير هو مفتاح الحداثة وبابها إلى العالم، على رغم أن أصول الحداثة تعود إلى الفكر والفلسفة الإغريقية والديانة المسيحية والفلسفة الإسلامية العقلانية. وكما قلنا سابقا، فان كانط كان أول من صاغ مفهوما للتنوير عندما قال "إن التنوير هو خروج الإنسان عن قصوره الذي اقترفه بحق نفسه وعجزه عن استخدام عقله إلا بتوجيه من إنسان آخر"(5).ونتيجة لأفكار التنوير ومبادئه تطورت الفلسفة العقلانية النقدية وفكرة التقدم الاجتماعي وحقوق الإنسان.

ولقد شكل عصر الأنوار قاعدة التفكير للحداثة كلها، إذ أنه الفضاء الذي يقوم على أربعة محددات[1]:

1- العقلانية، باعتبارها البحث المستمر في المعايير التي تقاس بها صحة الاستراتيجيات التي تصوغها الجماعات أو تسعى إلى صياغتها من أجل إحراز التقدم ومسايرة التاريخ، وتحسين مردودية الجهد الإنساني ورفع فعاليته .

2 - التاريخانية، أي أنّ الحداثة قامت على معقولية التحوّل، وأفضت إلى تصور حركي للمجتمع، يحدد مراحلا لنموه وتطوره، وهو نمو يخضع لمعيار التقدم .

3- الحرية، كأرضية تعيّن شرعية السلطة، وتؤكد حق الإنسان في تقرير شؤونه المدنية، دون إكراه أو قيد .

4- العلمانية، أي فصل السلطة السياسية عن المؤسسة الدينية، وفي مقابل ذلك الانطلاق من الإنسان كمفهوم مرجعي للممارسة النظرية والسلوك الأخلاقي والسياسي. وهي تجد مرتعها الخصب في إطار من الديمقراطية، التي تمارس عقلانيا وتنويريا، وذلك على نحو تغدو فيه الديمقراطية والعقلانية والتنوير أحد أوجه العلمانية وصيغة من صيغ التحفيز عليها . وعندما تطرح العلمانية، بمعنى عدم تدخل الدولة في الشؤون الدينية لمواطنيها وبحيث تكون المواطنة هي أساس العلاقة بين الدولة والمواطن، فإنها أقرب لأن تكون مفهوما سياسيا، يشكل ضمانة أكيدة للمساواة ولتلاحم المجتمع، حيث تكون العلاقة بالوطن والدولة علاقة سياسية وليست علاقة دينية قد تحد من المساواة السياسية بين أصحاب الديانات المختلفة .

- الأسس البنيوية لفكر الحداثة الغربية :

الحد الفاصل بين العصور الوسطى والأزمنة الحديثة هو العام 1500 تقريبا. والتغيرات الفكرية التي حدثت نقلت الحضارة الغربية ومن بعدها الإنسانية نقلة نوعية كبير، حتى صنعت الحضارة الغربية الحديثة ما هو أقرب إلى الخروج من التاريخ وانكسار الزمان عن مساراته.

وإن توسع الحضارة الغربية واحتكاكها بالعالم العربي طرح التساؤلات عن ماهية الذات والهوية الحضارية وتحديدها، والسبب في ذلك الشعور بأن الحضارة الغربية تسعى دائما نحو نفي الآخر

---

[1]- ستيوارت هامبشير، عصر العقل، ترجمة ناظم طحان، دار الحوار، اللاذقية سنة 1986، ص : 41

2- نفس المصدر : 49

3- رايموند ويليامز، طرائق الحداثة، ترجمة فاروق عبد القادر، عالم المعرفة العدد 246، ص : 63

4- المصر السابق ص : 57

5- المصر السابق ص : 70

PDF Complete
Your complimentary use period has ended. Thank you for using PDF Complete.
Click Here to upgrade to Unlimited Pages and Expanded Features

وابتلاعه والحلول مكانه، وهذا ما ترفضه الشعوب والحضار
الاجتماعي هو أن نكون، وهذا هو الذي أدى إلى عدم قدرة ال
المجتمع الأم وإن حملوا رغبة صادقة لذلك. لأن الحضارة الغربية ولعوامل ذاتية داخلية مرتبطة بالبنى الفكرية القائمة عليها ، كانت عاجزة عن التفاعل الإيجابي والتجانس مع الحضارات الأخرى.

وقبل تحديد الموقف من هذه الحضارة يجب أن نفهم مرتكزاتها، وعليه إذا كان من المناسب التعامل معها بالانتقائية دون رفضها كليا أو قبولها كليا. وقد تطور فكر الحداثة الغربية اعتمادا على أسس تعتبر لبنات لهذا الفكر نذكر منها :

- الإنسانوية (Humanism)(1):

كانت مناخا مهيمنا عبر عن نفسه من خلال الأدب والأخلاق أكثر منه من خلال المذهب الفلسفي المتكامل حيث كان دافعه الثورة على الفكر المسيحي والتحرر من أي سلطان وتثبيت الفردية المطلقة. وهذا ما يجعل فساد أخلاق رجل النهضة جزء من نزعته الفردية التي ترفض وجود أي مستوى أعلى من مستوى الوجود الفردي بحيث تجعل الإنسان مقياس كل شيء[1].

وهذه الفكرة في أن على الإنسان أن يضع معاييره الخاصة للخطأ والصواب، والخير والشعر والجميل والقبيح، هي مضمون الليبرالية. وباختصار فإن الإنسانوية هي تأليه الإنسان.

- العقلانية الحديثة (Rationalism):

إذا كانت الإنسانوية هي الدين الجديد فإن العقلانية هي الكنيسة المقدسة لهذا الدين. وتتمثل في أن كل موجود معقول، وكل معقول موجود، ومنها عبارة "أنا أفكر إذن أنا موجود" فما يقر بوجوده الفكر موجود، وما يقر بعدمه غير موجود. وهي العبارة الديكارتية التي جعلت الإله معتمدا في وجوده أو عدم وجوده على ما تقره الذات المفكرة.

وهذه العقلانية الحديثة أثبتت الفردية أساسا للعملية المعرفية فنفت المعرفة النبوية عن طريق الوحي بحصر المعرفة الإنسانية بالمعرفة العقلية المستقلة أو المقرونة بالحس والتجربة. وانتهت العقلانية إلى نفي المعرفة ذاتها بجعل المعارف التي عندنا ليست إلا تصورات وتكييفات عقولنا لذواتها الغير قابلة للمعرفة، ومن ثم إلى تعميم الفهم المادي على الإنسان مما أدى إلى فصل النفس عن العقل، الذي ربط المعرفة بنتائجها العلمية وفصلها عن الأخلاق.

- الطبيعية (Naturalism) والتأليه الطبيعي(Deism) :

وهي المذهب الفلسفي الذي يرى أن الطبيعة هي الوجود كله، وأن لا وجود إلا للطبيعة، أي الظواهر المادية في عالم الحس والتجربة، مما يعني استبعاد كل مؤثر يجاز حدود هذه الطبيعة، وهذا الذي ينفي تدخل إله في هذا حركة الكون ولكنه يحافظ على اعتقاده بأن إله هو الذي أعطاه الدفعة الأولى ليستمر في الحركة ضمن القوانين التي وضعها سابقا. ويقربونه بمثال صانع الساعة الذي يحتاج للدفعة الأولى ليستمر في الحركة. وهي المرحلة الانتقالية نحو الإلحاد والمادية.

- التقدمية (Progress):

هي استبدال لمبدأ العناية الإلهية الذي يسير العالم ضمن القوانين التي وضعها بمبدأ آخر أطلق عليه قانون التقدم الذي يشترطون له استمرارية الزمان. وبدلا من أن المحرك في المبدأ الإلهي هو الوصول للفردوس، المحرك هنا هو الوصول للفردوس الأرضي الذي سيحققه الإنسان بتقدمه. وبهذا يكون التهميش للوجود الإلهي والتثبيت للمادية والفهم المادي. والدليل أن هذا التقدم أعطى ثماره في انجازات

[1]- هي مصطلح يعني تقديس الانسان و تأليهه

PDF Complete
Your complimentary use period has ended. Thank you for using PDF Complete.
Click Here to upgrade to Unlimited Pages and Expanded Features

مادية فقط، والتي استيقظ بعض المفكرين الغربيين على آثاره
الحضارة المادية وما قادت إليه من أزمات اجتماعية وأخلاقي
ويذكر أن التقدمية فقدت بريقها في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر، بعد أن لعبت دورها في استكمال رسم الصور المادية للوجود، إلا أنها ما زالت شديدة الانتشار في بلادنا.

- الوضعية (Positivism):

هي محاولة لمنهجة وتثبيت الفكر الإنسانوي، وهي مذهب فلسفي يتمثل في رفض الفلسفة لتأكيد إنكار ما وراء الطبيعة، والاعتماد على العلوم التجريبية من أجل المعرفة الحقيقية، ونتاجها أن نقصر اهتمامنا على (العالم) الذي نؤثر فيه والذي تقتضي مصلحتنا معرفته، وتحول السؤال الأساسي للعلم من لماذا إلى كيف من خلال الحساب والتجربة.

- المادية (Materialism):

تعتبر المادية المحصلة النهائية للفكر الحديث. وتتمثل في أن الوجود الحقيقي هو الوجود المادي ولا وجود لأي شيء ما لم يكن ماديا أو ناتجا عن المادة، والمادية سرمدية كانت منذ الأزل وستبقى. فلا حاجة للإله لأنه وهم، حيث لا يملك كتلة وثقل وليس نتاجا لهما، وكذا الروح فهي خرافة.

ويجدر بنا الإشارة إلى أن الحضارة الإسلامية في العصور الوسطى على الرغم من كل التناقضات السياسية والصراعات إلا أنها لم تلغ هامش الحوار والتفاعل الإيجابي المتبادل مع هذه الحضارات دون أن يؤدي ذلك إلى تهديد الهوية الحضارية لأحد؛ لامتلاكهم جميعا فهما هيكليا واحدا للكون والطبيعة والإنسان، على الرغم من الاختلاف التفصيلي. أما الحضارة الغربية الحديثة التي تفردت بنظرتها المادية ألغت هامش الحوار نهائيا.

والمادية في الحضارة الغربية وإن تراجعت كمذهب فلسفي إلا أنها ما زالت موجودة كعصب فكري. فهي في العلوم الحديثة تتمثل في حصر اهتماماته كلها في إطار العالم الحسي المنهج التجريبي والطريقة الاستقرائية التي أبرز ما يميزها رفض قواعد عامة وحقائق ثابتة في الوجود ينطلق منها الذهن البشري ، وكذلك النزعة التحليلية التي قسمت العلم وجزأته فروعا لا متناهية لخدمة الصناعة لا الحقيقة الكلية.

وفي العلاقات بين الشعوب والحضارات هي علاقة مادية تقوى وتضعف بتغير حجم التبادل التجاري، وعليه العلاقة بين الأفراد تبنى على أساس نفعي مادي.

- المنهج في فكر الحداثة:

الحديث عن المنهج في الحداثة يقتضي تفصيل الكلام عن الرّؤية الكونيّة التي شكّلت هذا المنهج، ثم أهم المفاهيم التي أنتجتها أو قامت عليها الحداثة، ثم بعض التطبيقات لهذا المنهج والمتمثلة في المظاهر التي يمكن أن تنطبع فيها الحداثة، وكذلك القطاعات التي تشملها.

وفيما يتعلق بالرؤية الكونية، فإنها بدأت تتشكل منذ بدايات القرن الخامس عشر الميلادي، وذلك من خلال ثلاثة تيارات مهمة في التاريخ الحضاري الغربي؛ وهي حركة الإصلاح الديني البروتستانتي خاصة، والعقلانية أو الفلسفة العقلانية الحديثة، وكذلك التيار الإنساني.

حيث عملت الاتجاهات الثلاثة متضافرة معاً وظيفياً ومتعاقباً زمانياً ومتكاملة على بناء رؤية كونية حديثة للعالم، والتخلص من الرؤية القائمة على المنظور الكنسي الأرسطي التقليدي.(Ecclesiastic)

وإذا كانت البروتستانتية حررت المسيحي الغربي من سلطة الكنيسة والباباوات وانفرادهم بتفسير النصّ المسيحي الديني المقدس، والهيمنة على العقل والمعرفة، فإن الحركة الإنسانية عملت على التركيز على أن الإنسان الفرد هو المرجع في كل شيء، سواء في ذلك القيم أو المعايير أو الحقيقة في هذا العالم.

ومن جهتها عملت الفلسفة العقلانية على التأسيس للتفسير العقلي لحركة التاريخ والحضارة، وعلى إيجاد معاني عقلانية لكل المفاهيم المرتبطة بالإنسان في هذا الكون، فشكّلت العقلانية ابتداءً من كوبرنيكوس

Your complimentary use period has ended. Thank you for using PDF Complete.
Click Here to upgrade to Unlimited Pages and Expanded Features

وكبلر وغاليليو ثم ديكارت وسبنسر وسبينوزا ولوك وهيوم و
شكّلت نظرة للكون قائمة على استبعاد المقدس عن أن يساهم
المادة في مقابل الروح، أو انفصال الأخروي عن الدنيوي، خاصة العقلانية الديكارتيّة التي مهّدت للعلمانية على مستوى التفكير.

هذه التيارات الثلاثة، إضافة إلى اتجاهات البحث في الفلك والبيولوجيا والفيزياء وعلوم الكيمياء والعضويات، صاغت مع أوغست كونت ما يسمى بالوضعية باعتبارها ليست اتجاهاً فلسفياً فحسب، بل رؤية كونية قائمة على تنميط الإنسان وعقله وتجربته مرجعاً للحقيقة ومصدراً للتفسير، ومن الطبيعة المجال الأوحد للفعل التاريخي، الذي ليس له امتداد آخر (غيباً كان أو ميتافيزيقا) متعالٍ عن المادة.

هذه هي الرؤية المركزية لمنهج الحداثة، الوضعية والعلمانية رؤية للكون والتاريخ والإنسان، ووفق هذه الرؤية وما حدث فيها من تعديلات عبر الزمن، تطوّرت الحداثة، ونضجت لديها مجموعة من المفاهيم تميز هذه المرحلة عن مرحلة ما قبل الحداثة (أي مرحلة القرون الوسطى)، ولعل من أهم هذه المفاهيم؛ مفهوم العلم حيث أعطى له محتوى وضعياً، وصار العلم هو ما أنتجه العقل البشري من خلال تعامله مع الواقع؛ طبيعيا كان أو اجتماعياً، إضافة إلى المعرفة الرياضية واللغوية، ولا شيء خارج الطبيعة واللغة والرياضيات.

وعليه تم استبعاد كل ما له صلة بالغيب من مفهوم العلم، ولهذا صار الدين خارجاً من مفهوم العلم، بل لا صلة للدين بالعلم، كما أن قضايا الدين لا يمكن إقامة الدليل عليها، لأنها ذات طبيعة فوق تاريخية، أو ما وراء الطبيعية، والعلم نطاقه العقل والتجربة والواقع. فصار الدين يشكل في عُرف الحداثة حيّزاً ضيّقاً ضمن نوع من أنواع الأسطورة، وإن سمح الأمر –كما يقول أركون أحد فلاسفة الحداثة الغربية- فإن الدين ذو بنية أسطورية متعالية. فلا دخل للدين في صناعة التاريخ(1) ، وإن أمكن إعطاؤه دوراً فهو دور مشارك وليس مركزيا، وذلك من خلال الدور الاجتماعي للقيم الدينية، والتي يقوم فيها الدين، أو المقدس، بأداء دور لصالح الزمني أو الدنيوي، أما أن يهيمن الدين على التاريخ أو يوجهه أو يصوغ الحياة، فهذه نظرة كنسية تم القضاء عليها، وتم حصر الدين أو المقدس في أداء دور ثانوي تقتضيه الضرورة العقلية المنطقية كما هو شأن ديكارت وكانط، أو تقتضيه الضرورة الاجتماعية كما هو شأن دوركايم. أي أن دور الدين محدد بالضرورة، وبقدر ضئيل، وإن لم يُزل تماماً فإن تهميشه قد تمَّ. وهذا بدوره أعطى مكانا لمفهوم آخر هو المادية.

والمادية(Materialism) ، وإن كانت تشكل نظرة كونية ورؤية كلية للحياة من خلال التيارات الثلاثة السابقة الذكر، فإنها تشكل مفهوماً مركزياً في تراث الحداثة المفهومي والفكري[1]،

فاعتباراً من مفهوم العلمنة والحياة، فإن المادة هي ذات الأولوية في صناعة وتوجيه حركة التاريخ، ولهذا نجد مفهوم الكم قد أُعطي أولوية كاملة على حساب مفهوم الكيف، كما أن معيار الكم صار هو الفيصل في قياس التقدم والتخلف، والقوة والضعف، والفاعلية وعدمها. أما المفاهيم الروحية مثل الله، الحق والخير والدين، فصارت فارغة من محتواها إلا بمقدار ما تنفع وما يقابلها من مادة، وما تجلبه من ربح مادي وتراكم للمادة.

وهناك مفهوم آخر من المفاهيم المركزية في فكر الحداثة هو مفهوم التقدم، حيث أُعطي له محتوى جعل منه حصان طروادة (1) لكل ثائر على القيم، أو معارض للعُرف والمعروف والمتعارف عليه. فالتقدم مفهوم يتغنى به الحداثيون، ويجعلون العلامة عليه القطيعة مع التراث ومع السلف والتوجه نحو المستقبل ونشدان التغيير إلى ما لا نهاية. وأهم جوانب التقدم، وأكثرها وضوحاً، هو التقدم المادي، وطبعاً في

[1]- معن زيادة، معالم على طريق تحديث الفكر العربي، عالم المعرفة ، العدد 115، ص : 11

PDF Complete
Your complimentary use period has ended. Thank you for using PDF Complete.
Click Here to upgrade to Unlimited Pages and Expanded Features

التعليم والتقنية والسيطرة على الطبيعة، والتحكم في مواردها
كما أن من تطبيقات هذا المنهج، انتشار الديمقراطية الغربية، الحكم الواحد، وما تستلزمه هذه الديمقراطية من علمانية وعلمنة، وفصل بين الدين والدولة، وصراع التوازنات، وحديث عن حقوق الإنسان وتغييب لحقوق الله .
ثم التقدم المادي الاقتصادي الكبير الذي حدث في الغرب، وما جره ذلك من استنزاف لموارد الطبيعة، وإتلاف لقدراتها، وتنميط الإنسان كأنه كائن ذو بعد واحد؛ هو البعد المادي، واعتبار التقدم الاقتصادي معياراً أوحدَ لقياس رفاهية وسعادة الإنسان وتحقيقه لأهدافه في هذا العالم.
وكذلك من هذه التطبيقات نجد العلوم الطبيعية والاجتماعية والإنسانية التي تطورت بشكل مذهل لتحقيق مقولات التقدم والتحديث، ولكن وفق منظور مادي ورؤية اختزالية تختصر الإنسان وتطلعاته وأشواقه في أفق مادي محدود .

- مستويات التحولات الفكرية العامة للحداثة :

لقد كان للحداثة تأثير كبير على جميع المستويات، وستظهر هذه المستويات من خلال الجمع بين المنظـور البنيوي الذي يحاول تتبع السمات الأساسية للحداثة، والمنظور التاريخي الذي يحاول متابعة التحولات التدريجية والانفصالية أحيانا، التي تطال هذه السمات نفسها.
كما أنه من خلال تتبع التحولات الفكرية الكبرى المصاحبة للحداثة، نحاول التمييز قدر الإمكان بين مستويين في هذه التحولات الفكرية : المستوى الإبستيمولوجي والمستوى الفلسفي، وذلك على الرغم من تداخل هاذين المستويين وتشابكهما إلى حدود كبيرة[1].

1- على مستوى المعرفة :

تتميز الحداثة بتطوير طرق وأساليب جديدة في المعرفة قوامها الانتقال التدريجي من المعرفة التأملية إلى المعرفة التقنية. فالمعرفة التقليدية تتسم بكونـها معرفة كيفية، ذاتية وانطباعية وقيمية، فهي أقرب أشكـال المعرفة إلى النمط الشعري الأسطوري القائم على تملي جماليات الأشياء وتقابلاتـها ومظاهر التناسق الأزلي القائم فيها.
أما المعرفة التقنية فهي نمط من المعرفة قائم على إعمال العقل بمعناه الحسابي، أي معرفة عمادها الملاحظة والتجريب والصياغة الرياضية والتكميم. النموذج الأمثل لـهذه المعرفة هو العلم أو المعرفة العلمية التي أصبحت نموذج كل معرفة. هذا النمط من المعرفة تقني في أساسه، من حيث إن المعرفة العلمية استجابة للتقنية وخضوع لمتطلباتـها. فالتقنية كما أوضح هيدجر ذلك، ليست مجرد تطبيق للعلم عبر إرادة الإنسان، بل هي ما يحدد للعلم نمط معرفته المطلوب(1). فالعلم الحديث علم تقني في جوهره أي خاضع لما تقتضيه التقنية بالدرجة الأولى، أي التكميم منهجا وطريقة والتحكم والسيطرة غاية. ضمن هذا المنظور للمعرفة تكتسب مسألة المنهـج أهمية قصوى. فالمنهج، من حيث هو تنظيم وتحقيب لعملية المعرفـة، وطريقة في التناول تؤدي إلى تحقيق التقدم في المعرفة، وتقود إلى اكتساب القدرة على تملك الأشياء، يقود بالضرورة إلى إضفاء طابع تقني على المعرفة العلمية.
إن المعرفة الحداثية معرفة علمية بمعنى أنـها معرفة تقنية، أي في خدمة التقنية، وبالتالي فهي معرفة حسابية وكمية وأداتيه همها النجاعة والفعالية وغايتها السيطرة، الداخلية والخارجية، على الإنسان وعلى الطبيعـة، أو بعبارة أدق إنها سيطرة على الطبيعة عبر السيطرة على الإنسان. وارتباط المعرفة بالسيطرة والقوة لا يطال الطبيعة والعلوم الطبيعية وحدها، بل يطال الإنسان والعلوم الإنسانية ذاتـها حين يختلط هم المعـرفة والتحرر بـهمِّ السيطرة والتحكم.
وعقل الحداثة عقل أداتي والمعرفة الحداثية معرفة تقنية بمعنى أنـها إضفاء للطابع التقني على العلم، لكنها بنفس الوقت ومن حيث هي إضفاء للطابع العلمي على العلوم الإنسانية والاجتماعية على وجه

[1]- تقول الأسطورة انه حصان من الخشب، استعمرت به طراودة حيث اختفى المقاتلون بداخله.

PDF Complete
Your complimentary use period has ended. Thank you for using PDF Complete.
Click Here to upgrade to Unlimited Pages and Expanded Features

الخصوص، فهي إضفاء للطابع التقني على الثقافة ككل. في المنطبعة بالطابع العلمي، أي بالطابع التقني، أشكالا دنيا من ا النفس الوضعي، التقني، على الفلسفة مثلا، باعتبارها معرفة متجاوزة. فالمعرفة الحقة هي المعرفة العملية الاختبارية لا النظرية التأملية إذ أن الممارسة تحوز الأولوية القيمية والإبستمولوجية على النظرية.وهذه المعرفة العلمية التقنية لا تكتفي بالحط من قيمة الأنماط المعرفية الأخرى، بل تطال الفضاء الثقافي كله، وتتحول إلى ثقافة وإيديولوجيا بل إلى ميتافيزيقا أيضا[1].

يصبح العلم ـ التقني ثقافة تحل محل الثقافة التقليدية وتكيفها بالتدريج، مؤطرة المجتمع العصري، مزودة إياه بمشاعر الـهوية والانتماء وبمعرفة وأخلاق. كما يتخذ العلم التقني مصدرا للشرعية السياسية أي نواة لإيديولوجيا سياسية. ولعل الديموقراطية، كتكنولوجيا سياسية، هي في أحد أوجهها تعبير عن هذا النوع الجديد، الدنيوي، من المشروعية القائمة على العلم كتقنية. بل إن هذا المركب المعرفي الجديد ينتزع بالتدريج صورة ميتافيزيقا أي تبشيرا بالأمل, ووعدا بالخلاص، ومصدرا واهبا للمعنى.

2 ـ على مستوى الطبيعة :

الحدث الفكري الأساسي في تاريخ الفكر الغربي الحديث، هو نشوء ما اصطلح على تسميته بالعصر العلمي التقني ابتداء من القرن السابع عشر الميلادي. ويشكل منشأ هذا العصر الجديد تحولا أساسيا في النظر إلى الطبيعة. وقد كانت هذه الأخيرة في العصور الوسطى نظاما متكاملا يتسم بنوع من التناسق الأزلي الذي يعكس الحكمة العلويـة المبثوثة في كافة أرجاء الكون والمحققة لمظاهر كمالاته الروحية.
هذا التحول المفصلي في تاريخ علم الطبيعة تمثل في الانتقال من مركزية الأرض إلى مركزية الشمس، مفتتحا الانتقال الحديث من العالم المغلق إلى الكون اللانـهائي. لكن النقطة الجوهرية في هذا التحول هي النظـر إلى الطبيعة كامتداد كمي هندسي وحسابي، وهو التحول الذي حدث مع غاليلو.
لقد أصبحت الطبيعة امتدادا متجانس العناصر لا فرق ولا تميز بين مكوناتها ولا تخضع لتراتب انطولوجي كما كان الأمر في الفكر القديم وفكر القرون الوسطى. فالمكان عبارة عن وحدات أو نقط متجانسة، والزمان بدوره آنات متجانسة، مما مهد لقبول التصور الرياضي الميكانيكي للطبيعة، وهو التصور الذي يفرغ الطبيعة من أسرارها لينظر إليها ككم هندسي ممتد قابل للحساب وخاضع لقوانين الرياضة(1). فنـزع الطابـع الإحيائي السحري عن الطبيعة هو الوجه الآخر في النظر إليها من خلال مفاهيم رياضية تعتبر الطبيعة ـ كما قال غاليلو " كتابا مفتوحا بلغة المثلثات والمربعات والأشكال الهندسية"(2).
والعلاقة القائمة بين عناصر الطبيعة هي علاقات ميكانيكية وديناميكية خاضعة لقانون العلية. ويشكل هذا القانون نقلة نوعية في فهم العلاقة بين الظواهر لأنه ينتقل بـها من مستوى التفاعلات العضوية المحملـة بالأسرار والألغاز إلى تفاعلات القوى والكميات القابلة للرصد والحساب، أي من التصور العضوي والغائي إلى التصور الميكانيكي والديناميكي العلي. والطريف في الأمر هو أن ليبنتس الذي صاغ وطور مبـدأ العلة (مبدأ العقل Principe de raison)، قد طور في نفس الوقت تصورا ديناميا غائيا للمادة والكون حين اعتبر أن طبيعة الأجسام ليست هي الامتداد بل القوة أي النـزوع والقدرة على الفعل ورد الفعل، كما ساهم في إرساء التصور الرياضي للطبيعة عندما اعتبر أن الله، وهو يمارس الحساب، يخلق أفضل العوالم الممكنة.
وهكذا حول العلم الحديث الطبيعة إلى معادلات رياضية وأشكال هندسية أي إلى هياكل عظيمة فارغة كما اعتبرها برتراند راسل،أوإلى مجـرد مخزن للطاقة منذور لأن يتحول إلى موضوعات قابلة للاستهلاك، كما يقـول هيدجر(3). وقد أبدى العلم الحديث منذ البداية تواضعا معرفيا جما إذ رسم لنفسه

---

[1]- توماس كون، بنية الثورات العلمية– ترجمة شوقي جلال، عالم المعرفة 168، الكويت 1992، ص : 19
1- نفس المصدر ص: 28
2- صلاح قنصوه، فلسفة العلوم، دار التنوير، بيروت 1983، ص : 61
[1]- نفس المصدر ص: 62
2- المصدر السابق ذكره ص :45

PDF Complete
Your complimentary use period has ended. Thank you for using PDF Complete.
Click Here to upgrade to Unlimited Pages and Expanded Features

حدودا في فهمه للطبيعة. فهو لم يدع أبدا أنه يسعى إلى فهم ال
منذ البداية على محاولة فهم الظواهر مركزا على ما هو قابل
طغت روح النسبية على أحكامه ونظرياته، بل إن البحث العلمي اتسم في الاغلب الاعم بنزعة مواضعاتية (conventionnaliste) واضحة.

فالخطوات والاحتياطات المنهجية التي يلجأ إليها العالم هي نوع من الاختيار القبلي للموضوع، اختيار للمجال الذي يجب أن يظهر فيه الموجود، ولزاوية النظر إليه. فالموجود هنا –بلغة هيدجر- لا يظهر من تلقاء ذاته بل يرغم على الظهور وفق الخطاطات والتصميمات المسبقة وشبكات التأويل التي تخضعه لـها وتدرجه في سياقها(2).

3 - على مستوى التاريخ :

إذا كان المسار الطويل الذي تدرجت فيه الحداثة في تصورها للطبيعة هو تبين أن كينونة الطبيعة تتمثل في الدينامية والآلية بدل الغائية، فقد وازى هذا التطور، فيما يخص تصور الزمن والتاريخ، تحول فكري قاد إلى إظهار أن كينونة التاريخ تتمثل في الصيرورة، أو بعبارة أخرى فإن تحول الكينونة إلى فعل وصيرورة ابتدأ في الطبيعة ثم سرى إلى التاريخ. فقد أصبح التاريخ سيرورة (Processus) وصيرورة (Devenir) أي مسارا حتميا تحكمه وتحدده وتفسره عوامل ملموسة كالمناخ والحاجات الاقتصادية للناس، أو حروبهم وصراعاتهم من أجل الكسب، وكالصراع العرقي، أو القبلي، أو المذهبي أو غيره. وبعبارة أخرى فإن غائية التاريخ بدأت تختفي وتتضاءل لصالح الميكانيزمات الداخلية والحتميات المختلفة التي تتدخل في تحديده تحديدا لا تعرف وجهته إلا من خلال مقارنة العوامل الفاعلة فيه. وبعبارة ليوستروس فقد أصبح التاريخ توسطا بين الواقع والمثال، عبر حركة تطورية مستقيمة الاتجاه(3). فمثلما نزع العلم عن الطبيعة طابعها السحري والإحيائي، فقد نزعت المعرفة والممارسة الطابع الأسطوري عن التاريخ بنفي طابعه الغائي والنظر إليه باعتباره مجرد حركة تطورية مستقيمة تتحكم فيها عوامل داخلية قد تكون هي المحددات الاقتصادية (ماركس) أو التقنية أو السيكولوجية (فرويد) أو غيرها.

وقد قاد ربط تطور التاريخ بعوامل تاريخية محددة وملموسة إلى تطور نزعة تاريخانية ترجع كل شيء للتاريخ وتشرطه به لدرجة أنه تم وسم الحداثة بكونها عبادة للتاريخ الذي أصبح هو المصدر أو المنتج الأساسي للمعنى.وواكب التحول في مفهوم التاريخ تحول آخر طال مفهوم الزمن. فقد تمثلت الحداثة للوعي الفلسفي في القرن الثامن عشر مع هيجل كفترة جديدة راديكالية بالقياس إلى ما سبقها من عصور، وخاصة ابتداء من القرن الخامس عشر والأحداث الثلاث الكبرى التي راوحت حواليه : اكتشاف العالم الجديد، النهضة الأوربية والإصلاح الديني. وقد كان هيجل هو أول من طرح قطيعة الحداثة مع الإلـهامات المعيارية للماضي، التي هي غريبة عنها، طرحا فلسفيا.

يبدو إذن أن زمن الحداثة زمن متجه نحو المستقبل الذي يكتسب بالتدريج دلالات تطورية عبر تجربة تتنامى فيها بالتدريج المسافة بين الحاضر والمنتظر ، وتطغى على قاموسها مصطلحات التطور، والتقدم والتحرر والأزمة.

- الثورة الطبية الحديثة:

لقد عصفت الثورة الطبية الحديثة التي قامت كنتاج للفكر الحداثي، بكل المعارف الطبية القديمة، و بالتالي اندثار كل الأسس و القيم الإنسانية و الأخلاقية التي بنيت عليها هذه المعارف. هذه القيم و الأسس التي كانت ترتكز على النظرة القدسية للإنسان و الحياة ككل. انه لا يمكن انكارالتقدم الباهر الذي جرى في مضمار العلوم الطبية و صار جزءاً لا يتجزأ من طراز حياتنا. ولقد تأتى هذا التطور من جراء الإكتشافات الطبية المعاصرة لعدة أمور لم يجابهها آباؤنا أو أجدادنا. فمن البديهي أن ما لم يواجهوه لم يكن مشكلة بالنسبة إليهم ولذلك لم يتركوا لنا نتاج تفكيرهم بخصوص الموضوع الذي نجابهه نحن.

3- معن زيادة، معالم على طريق تحديث الفكر العربي، عالم المعرفة ، العدد 115، ص: 39

PDF Complete
Your complimentary use period has ended. Thank you for using PDF Complete.
Click Here to upgrade to Unlimited Pages and Expanded Features

و الحداثة بنظرتها المتعالية هذه، تنفي و تنسخ كل الانجازات المعرفية. متناسية بأن الطب وهو النجاح الأجمل في تاريخ ال اجتهد لكي يخفف من آلام أخيه الإنسان، وبذلك يلتقي تاريخ (فن المداواة) مع كل من تاريخ العلم وتاريخ الإنسان، لتصبح كل ممارسة، تستهدف تخفيف آلام الإنسان – سواء كانت سحرية أو دينية أو علمية جزءاً أساسياً من تاريخ الطب. فالطب الغربي الحديث ذا الطابع العالمي ليس نتاجا خالصا لجهود الغرب وحده، بل هو نتاج الجهد التراكمي لكل الشعوب في كل مراحل التاريخ، حيث أسهم كل شعب، بحصته من المهارة ونصيبه من المعرفة، في إرساء دعائم هذا الفن الذي لا يعالج وفق منظومته سوى ثلث البشرية فقط، بينما يعالج الباقون وفق مبادئ ومناهج شديدة التباين، لكنها جمعياً تهدف إلى تخفيف الألم ورفع المعاناة عن الإنسان. فالطب القديم رغم ما يحويه من بعض الخرافات، فان فيه معارف و حقائق علمية متطورة أثبت العلم الحديث صحتها، و ما رجوع الإنسان المعاصر إليها لخير دليل على ذلك.

والعودة إلى التاريخ البشري تثبت لنا أن للطب جذور و أصول قديمة، تعتبر قاعدة ارتكاز لا يمكن وضع قطيعة علمية بينها و بين معطيات الطب الحاضر، فهذا الأخير هو مزاولة قديمة قدم الإنسان ذاته حيث ارتبطت في بدايتها بأعمال السحر و الشعوذة و ذلك في العصور القديمة و المجتمعات البدائية حيث مارسها الكهنة و السحرة ثم تقدمت نوعاً ما مع الحضارات القديمة.

ويقوم الطب الغربي الذي تمخض عن الحداثة، بصورة عامة على أسس الفلسفة العقلانية التي ظهرت في القرن السابع عشر واعتمادها الكلي على العقل كمعيار للحقيقة، وعلى هذا الأساس يعتبر الدليل المادي والتجربة والتحليل هي أسس تقبل الحقائق . فلقد تغير مفهوم المرضى من تحاليل الأخلاط إلى تحاليل الخلايا.

Your complimentary use period has ended. Thank you for using PDF Complete.
Click Here to upgrade to Unlimited Pages and Expanded Features

الفصل الثاني

فلسفة الطب الحديث

PDF Complete
Your complimentary use period has ended. Thank you for using PDF Complete.
Click Here to upgrade to Unlimited Pages and Expanded Features

- مقدمة :

الطب هو مهنة قديمة قدم الإنسان ذاته حيث ارتبطت في بدايتها بأعمال السحر و الشعوذة و الدجل و ذلك في العصور القديمة و المجتمعات البدائية حيث مارسها الكهنة و السحرة ثم تقدمت نوعاً ما مع الحضارات القديمة في بلاد الرافدين و مصر و الهند و الصين إلى أن حدثت النقلة النوعية في زمن الإغريق و اليونان و ظهور أبقراط و جالينوس و غيرهم ومع ظهور الحضارة العربية و الإسلامية و تطور الممارسة العلمية التجريبية بدأ الطب يأخذ شكله المعروف اليوم من خلال أعمال علماء و أطباء كبار أمثال ابن سينا وابن النفيس والزهراوي و الرازي وغيرهم الكثير ممن ظلت كتبهم و أعمالهم تدرس في مختلف أنحاء العالم حتى القرن السابع عشر مما مهد الطريق أمام التطورات الكبيرة اللاحقة التي حدثت مع ظهور عصر النهضة في أوروبا ثم الثورة الصناعية وصولاً إلى الأزمنة الحاضرة و التي أدت إلى تطورات كبرى في كافة العلوم و منها الطب والفلسفة.

- تعريف علم الطب :

الطب باللاتينية: (ars medicina)، أي فن العلاج؛ هو العلم الذي يجمع خبرات الإنسانية في الإهتمام بالإنسان، وما يعتريه من اعتلال وأمراض وإصابات تنال من بدنه أو نفسيته أو المحيط الذي يعيش فيه، ويحاول إيجاد العلاج بشقيه الدوائي و الجراحي وإجرائه على المريض. كما يتناول الطب الظروف التي تشجع على حدوث الأمراض وطرق تفاديها والوقاية منها، ومن جوانب هذا العلم الاهتمام بالظروف والأوضاع الصحية، ومحاولة التحسين منها. والطب هو ذلك الفرع من العلوم الذي يهدف إلى دراسة المرض ودراسة ما هو باثولوجي. والباثولوجيا تعرَّف بكونها علم أسباب وأعراض الأمراض. وإضافة إلى المعرفة فالطب هو فن الاحتفاظ بالصحة واستقصاء سبل إعادة التوازن إلى هذه الصحة عند اللزوم. وهكذا يمكننا أن نقول إن الطب هو المعرفة والفعل.

- نشأة الطب و تطوره :

إن هناك ظاهرتان قديمتان قدم الإنسان: الدين و الطب، أثارت القوى الطبيعية مخاوفه فاستعان على اتقاء شرورها بآلهة تخيلها، و أشفق على نفسه من المرض و أفزعته آلام المصابين من أهله و عشيرته ففزع إلى التطبيب، فلقد نشأ الطب مع صدور أول – آهة- من متأوه تعبيرا عن ألم من مرض ألم به أو من جرح أصابه، ذلك أن حاجة الإنسان إلى الشفاء لا تقل عن حاجته إلى الغذاء.

غير أن التطبيب آنذاك قد اتخذ طابع السحر، لأن جهل الإنسان لأسباب المرض أدى به إلى الاستعانة بالسحرة، غير أن النشأة الحقيقية للطب إنما تبدأ منذ أن تحرر من تأثير السحر و سلطان السحرة. و أغلب المؤرخين لنشأة الطب يرون أنه نشأ في مصر القديمة، لأنه تهيأت بها مقومات دون غيرها من الحضارات نذكر منها ابتكار الكتابة، فقد يتعذر قيام علم دون وجود مرحلة تدوين، ذلك لأنه لا بد من

PDF Complete
Your complimentary use period has ended. Thank you for using PDF Complete.
Click Here to upgrade to Unlimited Pages and Expanded Features

تسجيل المعارف المكتسبة، فبفضل ابتكار الكتابة و اكتشاف و
الطبية.

- النسق العام للطب القديم :

المذهب الكلي (Universel) :

من الأسس التي اعتمد عليها الطب القديم النظرة الكلية، وهي نظرة شديدة القدم عميقة الرسوخ في الإنسان تعود إلى عهد لم يكن فيه يميز نفسه عن الطبيعة، بل كان جزءاً أساسياً منها، وكان الوعي الإنساني يقتصر على محاذاة الطبيعة ومحاكاتها. وكل محاولة لمقاربة الطبيعة كانت تقوم بشكل رئيسي على الحدس والقياس. وعلى الرغم من الخصوصية التي تميزت بها كل من الحضارات القديمة فقد تشابهت جميعاً بنظرتها إلى الكون والإنسان. إن نظرية الأخلاط التي وضعها أبقراط اعتمدها ابن سينا في كتاب القانون واستهل بها الفصل الأول المخصص للكليات في الطب كما أننا نجد نظريات مماثلة في الهند والصين. والنظرة الكلية في مقابل النظرة التجزيئية الميكانيكية، تعني أن الكون ليس مجرد آلة مؤلفة من تعدد أو موضوعات كثيرة، بل عملية عضوية وظيفية، متحدة، متناسقة، غير قابلة للانفصام والتقسيم في أساسها وجوهرها. ويذكر فريتيوف كابرا عن النظرة الكلية: "عندما نتوغل في أعماق المادة لا تكشف لنا الطبيعة عن كتل بناء أساسية، بل على غير ذلك تظهر وكأنها نسيج معقد من العلاقات بين الأقسام المتنوعة لكل وتشتمل هذه العلاقات على الراصِد وهو الإنسان(1[1]).

الموقف الكلي في علوم الحياة والمعروف بالعضوانية يشدد على أن العضوية يجب أن تُدرَس ككل، حيث الكل يختلف عن مجموع أعضائه وحيث الإنسان جزء من كل أعظم وأشمل. إن كل خلية في جسم الإنسان تشكل بحد ذاتها مخلوقاً ذكياً يتمتع بحيوية خاصة، وكل نسيج يتألف بدوره من مجموعة من الخلايا تسبغ عليه خصوصيته النسيجية. وهكذا تشكل الخلايا عنصراً أساسياً على المستوى النسيجي الذي يصبح بدوره عنصراً أساسياً للمستويات الأعلى. إذاً فالوضع الكلي ليس حصيلة أجهزة تعمل منفردة، لأنه لا دارات آلية مغلقة في جسد الإنسان. الوضع الكلي يتميز بمنظومات أو مجموعات دينامية تتفاعل على نحو متبادل ضمن منظومة دينامية يصح وصفها بأنها تراتبية من مستويات التنظيم. ويمكن أن نلخص المبادئ الأساسية التي تشتمل عليها النظرة الكلية في مقابل النظرة التجزيئية بالعناصر التالية:

1- الفارق بين الكائن العضوي وغير العضوي هو فرق في الطبيعة لا في الدرجة.

2- النظر إلى الإنسان بوصفه كياناً كاملاً أو بنية متكاملة.

3- خصائص الكل هي التي تحدد وظيفة الجزء وليس العكس.

4- لا يمكن اختزال ما هو أعلى إلى ما هو أدنى. فلا تُرَدُّ صفات العضويات إلى صفات الجماد ولا تفسَّر الظواهر البيولوجية بالعوامل الفيزيائية والكيميائية وحدها. ويتفرع عن النظرة الكلية القول بدينامية الأجسام الحية (التلقائية)، وكذلك القول بالتناغم والتوازن والغائية. وسنقوم بدراسة كل من هذه المبادئ على حدة. ولقد حددت هذه النظرة مفهوم المرض و أسلوب العلاج في الطب القديم، فليس هو مرض عضو كما سبق القول و إنما هو مرض الفرد بأكمله، و من ثم فان الشفاء انما يعني أن يسترد الكائن العضوي أو المريض بأكمله عافيته و لن يتسنى ذلك إلا إن استعادت جميع الأعضاء أداء وظائفها في وحدة عضوية متكاملة.

– التشخيص (Personnification) :

لقد كان التشخيص في الطب القديم يعتمد على النظر فقط. وفي بعض الحالات كان الطبيب يتعرف على نوع المرض ما إن يلج غرفة المريض ويشم رائحة مفرزاته. وهذه الطريقة تستند بلا شك إلى المراقبة والاستنتاج والاعتماد على أقوال المعلمين للاستئناس بها إلى خبرة تجاربية إلى جانب نفاذ بصيرة الطبيب وقوة حدسه. وكان يتم أحياناً من خلال سماع القصة المرضية فقط وحتى دون رؤية

[1] - ندره اليازجي، المبدأ الكلي، دار الغربال، دمشق ، المنشورات الجامعية، طرابلس 1984، ص : 47

PDF Complete
Your complimentary use period has ended. Thank you for using PDF Complete.
Click Here to upgrade to Unlimited Pages and Expanded Features

المريض. وكذلك الأطباء العرب أشاروا إلى الحدس على أنه الباطن بالظاهر مباشرة ودون واسطة خاصة. ثم اهتموا باست ومعرفة قصته المرضية. فكان الرازي يسأل المريض عن كل ما يمكن ان تتولد عنه علته من داخل وخارج ثم يقضي بالأقوى. وقد لجأ الأطباء العرب إلى مساءلة المريض وتأمل حالته عن كثب وفحص الأعضاء الباطنة والظاهرة والاهتمام بحالته العصبية والنفسية. ويعتبر الرازي أول من ساهم في وضع أسس التشخيص التفريقي الذي يساعد على التفريق بين الأمراض من خلال الأمراض، وإن تشابهت.

- التناغم (consonance) :

تعتمد نظرية الأخلاط أو الكليات في الطب القديم على وجود أربعة عناصر (الماء والنار والتراب والهواء) وأربع طبائع (اليبوسة والرطوبة والحرارة والبرودة)، تحدد نتيجة التركيب فيما بينها تشكل الأخلاط (الدم والبلغم والمرة السوداء والمرة الصفراء)([1]1). وقد استكمل هذا الهرم من الرباعيات بنظرية الأمزجة الأربعة التي شرحها جالينوس للمرة الأولى(2). إن هذه الكليات وليدة نظرية فيثاغوراس الخاصة بالرقم أربعة الذي اعتبره رقماً متكاملاً، و كذلك البابليون. كما أن نظرية العناصر والأركان الأربعة التي يعتبر أفلاطون أول من أدخلها في المصطلح العلمي تعود إلى الحضارة المصرية القديمة. ونستطيع القول إن هذه النظريات تمثل الرغبة الملحة للفلاسفة والعلماء في تحقيق التناغم والانسجام. وقد اعتمد ابن سينا نظرية الأخلاط اليونانية.

أما الطب الهندي فقد ذكر ثلاثة أخلاط هي بيتا الصفراء وكافا البلغم، وفايو الهواء([2]1)، ويوجد ما يقابلها في الطب الصيني. وخصوصية الجسم يشكلها طغيان أحد الأخلاط عليه إلى جانب الخلطين الآخرين.

يشكل التناغم أحد الأفكار الرئيسية التي قالت بها الفلسفة اليونانية. فالتناغم بين الأجزاء هو المثال الأعلى الذي ينشده الفنان وعالم الرياضيات والطبيب اليوناني. ويعود ذلك بشكل رئيسي لنظرة الإغريق إلى الوجود، إذ كانوا يرون أن الصلة بين الطبيعة الخارجية والطبيعة الإنسانية هي صلة التناغم، في حين لم يكن لدى الشرقيين أي تمييز بين الطبيعتين. ويقول حكماء الهند: "نستطيع أن نرى تنوع الأجزاء والتناغم في عملها من أجل المنفعة المتبادلة ولكن الوحدة تتجاوز كل إدراك، وحسبها أن تكون ماثلة"(2). ويُعتبر التناغم في الهند الاه يدعى فشنو.

- مبدأ الغائية (principe de finalitè):

إن الصيغة الحقيقية لمذهب الغائية، كما ورد عند أرسطو، هو أن الطبيعة لا تعمل شيئاً عبثاً. وكلمة طبيعة هنا تشير إلى مبدأ الحركة في الشيء المتحرك، الذات. وقد أثرت النظرية الغائية التي جاء بها أرسطو في أفكار الأطباء الإغريق كما أثرت أيضاً في الأطباء العرب الذين استطابوها واتخذوها البرهان الأكبر على وجود الخالق وعظمته وقدرته. ويذكر ابن سينا العديد من الأمثلة على الغائية: "يقع القلب بين العضوين الرئيسيين الدماغ والكبد ليمد كل منهما بما يحتاج من الدم والروح... وخلق القلب من لحم صلب، ليكون بعيداً عن الآفات"(3). ولقد وجد كل عضو من الأعضاء لتأدية وظيفته وبكلمة أخرى نستطيع القول بأن تمام الصحة هو في كمال تأدية الأعضاء لوظائفها.

وعلى الرغم من تضاؤل أهمية المعطيات العلمية لابن سينا أو غيره من الأطباء القدماء، فإن العديد من الظواهر الفسيولوجية التي نعرفها اليوم يرتبط بمبدأ الغائية، إذ لا يمكن مثلاً تفسير المناعة ضد ما يؤذي الجسم دون التسليم بمبدأ غائي يستفيد منه الكائن العضوي لحماية نفسه من خلال تكوين الأجسام الضدية التي تلتقي بالعناصر الغريبة الدخيلة على الجسم كالجراثيم، وتعطل مفعولها من بعد. كما أن المرض يجب أن يفهم وفقاً لغائيته؛ فهو عملية دفاع حيوي ومتماسك ضد الاعتداء الداخلي أو الخارجي.

1- آمينة فؤاد زهر الدين، بواكير الطب الحديث، كنوز الصحة و يواقيت المنحة- شرح و تعليق : د يوسف فؤاد زهر الدين- دار الفارابي- لبنان، 2006 ، ص :31

2- طبيب يوناني

1- سليمان عزمي باشا، على هامش الطب، الجزء الثالث، الطبعة الأولى، مكتبة النهضة المصرية سنة 1949 ، ص: 52

2- نفس المصدر، ص : 56

[3]- محمد زهير البابا، من مؤلفات ابن سينا الطبية رسالة في الأدوية القلبية ، معهد التراث العلمي العربي، 1984 ، ص:18

PDF Complete
Your complimentary use period has ended. Thank you for using PDF Complete.
Click Here to upgrade to Unlimited Pages and Expanded Features

ويقترن مبدأ الغائية اقترانا وثيقا بالمبدأ الحيوي والنزعة الكلية لوظائفها على أتم وجه, ولا تقتصر الغائية عند مجرد القول بـ فذلك أمر معروف, كالقول بأن الغرض من القلب دفع الدم إلى الشرايين او بان غرض الرئتين تزويد الجسم بالأكسجين والتخلص من ثاني أكسيد الكربون, وإنما يتم ذلك بموجب طاقة تسري في الجسم بأكمله تسمى في الفكر اليوناني ب(الطبيعة) وفي الفكر الصيني بالطاقة الحيوية.

- النسق العام للطب الحداثي :

- الطب التجريبي (Mèdecine expèrimentale) **:**

لقد هيمن المنهج الميكانيكي النيوتوني على الفكر العلمي كله طوال فترة تمتد من النصف الثاني للقرن السابع عشر حتى بدايات هذا القرن، الأمر الذي جعل العلوم الطبيعية والإنسانية تعدِّل نفسها وفق النموذج النيوتوني. وفرنسيس بيكون هو أول فيلسوف أعطى الدعم الفلسفي للعلم التجريبي. إذ يحدد بيكون رسالة العلم بوصفها استنباط القدرة والسيطرة على الطبيعة. أما برنار فيذهب إلى اعتبار الطب التجريبي الطب الذي يطمح إلى معرفة قوانين الأجساد السليمة والمريضة بحيث لا نتمكن من توقع الظواهر فقط بل كذلك من تنظيمها وتغييرها في حدود معينة. ويقول برنار عن المنهج التجريبي: "إن خاصية المنهج التجريبي هو أنه لا يرتبط إلا بذاته وذلك لأنه يحتوي على مقياسه الخاص وهو التجربة. فهو لا يعترف بأي سلطة غير سلطة الأحداث وهو متحرر من السلطة الشخصية"(1[1]). وقد بات معلوماً أن ظهور الفيزياء الحديثة وانهيارالنموذج الديكارتي أثبت العلاقة الوثيقة بين المجرِّب والتجربة وسُلّم القياس ولم يعد القول بأن العلم متحرر من السلطة الشخصية مقبولاً.

إن النظرة إلى الطبيعة التي قال بها بيكون وديكارت وبرنار شكلت منعطفاً خطيراً في علوم الحياة من جهة وفي صلة الإنسان بالطبيعة من جهة أخرى. فبعد أن كانت هذه الصلة قائمة على المودة والمحبة والاقتداء بالطبيعة ومحاكاتها، غدت مستندة إلى التملك والسيطرة والاستغلال.

يعتبر بعضهم أن برنارهو نيوتن الجسم الحي. وفي كتابه المدخل إلى الطب التجريبي يعتبر أن الطب التجريبي هو الطب العملي معتقداً بأنه بذلك يخلِّص الطب من الفلسفة ويجعل منه علماً بحتاً(2). ولكن الاطلاع على الكتاب يظهر لنا أن برنار، كغيره من الأطباء التجريبيين، قد اتبع مذهباً فلسفياً يقوم على:

1- الإقرار بمبدأ الحتمية والاستناد إلى النزعة الآلية في تفسير العالم.

2- الاعتماد على التحليل (analysis) الذي يشكل أحد قواعد المنهج الديكارتي.

3- تبني مبدأ الاختزال (reductionism) أي رد الظواهر البيولوجية إلى تفسيرات فيزيائية وكيميائية.

4- الاعتماد على التجربة واستخدام الاستقراء.

- مبدأ الحتمية (Dèterminisme) **:**

يحتاج رجل العلم الحديث للتسليم بمبدأ الحتمية قبل الشروع في عمله، بحيث أن ما يصير في مكان ما يصير في كل مكان وكل زمان. ومبدأ الحتمية نفسه يفترض أن ثمة نظاماً في الطبيعة، هذا النظام متكرر الوقوع في اطراد، وأن هذا الاطراد محكوم بالعلاقة العِلّية بين السبب والنتيجة.

ويقول كلود برنار انطلاقا من اعتقاده بالحتمية : "أي حادث عندما يتقدم إلينا لا يكتسب قيمة علمية إلا بمعرفة حتمية." وهو يعتبر أن "تلقائية الأجسام ليست إلا تلقائية ظاهرة وهي نتيجة آلية أوساط محددة تحديداً كاملاً بحيث يكون من السهل أن نبرهن على أن تظاهرات الأجسام كتظاهرات الأجرام الجامدة الخاضعة لحتمية تربطها بشروط فيزيوكيميائية"(1[2]). ويعتقد برنار أن الظواهر الحيوية تختلف من حيث

1- كلود برنار، مدخل لدراسة الطب التجريبي، ترجمة عمر الشارني، دار بوسلامة للطباعة والنشر والتوزيع، تونس 1982 ، ص:28

[2]- نفس المصدر، ص: 36

1- صلاح قنصوه، فلسفة العلوم، دار التنوير، بيروت 1983، ص:39

[2]- نفس المصدر، ص : 47

PDF Complete
Your complimentary use period has ended. Thank you for using PDF Complete.
Click Here to upgrade to Unlimited Pages and Expanded Features

مظهرها ودرجة تعقدها عن الأجسام الجامدة، لكن القوانين ثا
والحق أن من الخلط الاعتقاد بسريان القوانين ذاتها على الجم
والجماد اختلاف أساسي في الطبيعة والنوع وليس في الدرجة. من جهة اخرى، إن استناد الطب إلى مبدا الحتمية يلزم عنه أن علاجاً واحداً لمريضين بمرض واحد لابد أن تلزم عنه نتيجتان متماثلتان. وقد تبين أن في ذلك تجاهلاً للعوامل الفردية والبيئية، إذ إن الحالة النفسية والروح المعنوية لكل مريض قد تؤدي إلى شفاء أحدهما وموت الآخر.

إن إنكار أية تلقائية راجعة إلى قوة الحياة في الكائنات الحية واستبعاد أي تفرد وخصوصية للأفراد بدعوى أن الاستثناء مناقض للعلم يعتبر أمراً منافياً لما بات يؤكده الطب الذي اعترف اعترافاً نهائياً بتفرُّد كل كائن حي شكلاً ومضموناً، جسمانياً ونفسياً وبيئياً.

- التحليل والتشريح (Analyse et dissection) :

التحليل من أهم مبادئ الفلسفة الديكارتية من حيث إنه يقسم كلاً من الصعوبات موضع الدراسة إلى أكبر عدد ممكن أو مطلوب من الأجزاء تسهيلاً لدراستها. وقد اعتبر ديكارت أن من يطلب حقيقة شيء دون تحليل هو كمن يحاول الوصول إلى قمة برج عال من غير أن يصعد إليها بدرج. أما كلود برنار فيقول: "لا يمكن الوصول إلى معرفة الشروط الأساسية والمحددة للظواهر إلا بطريقة واحدة هي التحليل التجريبي وهذا التحليل يفكك شيئاً فشيئاً كل الظواهر المعقدة إلى ظواهر أكثر بساطة... كذلك فإنه على عالم الحياة أن يحلل الأجسام المعقدة وأن يرجع ظواهر الحياة إلى شروط أولية في الحالة الراهنة للعلم. وليس للفسيولوجيا والطب التجريبي من هدف غير هذا"(2).

وقد نشأ عن ذلك الاهتمام بعلم التشريح واعتماد الطب على الفسيولوجيا وتقسيم جسد الإنسان إلى أجهزة وأعضاء وأنسجة. لقد شكّل اللجوء إلى التحليل محاولة الباحثين للكشف عن عمليات الحياة وفهم أسرارها. لكن هذا الأسلوب زودهم بصورة متجزئة ومحدودة عن الحقيقة لم تكن لتكتمل بغياب مفهوم التركيب الذي يفترض وجود منظومة فكرية قادرة على دمج المعلومات في إطار إنساني شامل وديناميي مفيد.

لا سبيل إلى إنكار ما توصلت إليه علوم الحياة والطب من معرفة دقيقة لكل عضو من الأعضاء وما يمكن أن يعتريه من علل وأمراض، لكن ذلك لم يمكّن الأطباء من فهم الوحدة والتناغم القائم بين كل وظائف الجسم لأن الكل لا يمكن أن يفهم على أنه مجرد ترتيب للأجزاء. فالكل يختلف عن أجزائه وهو أعظم من مجموعها أو حصيلتها. ويكفي أن نذكر أن جزيء الماء يختلف عن العنصرين اللذين يتألف منهما، أي ذرتي الهيدروجين وذرة الأوكسجين. وكل وظيفة من وظائف الجسم تخدم نفسها وتخدم الوظائف الأخرى وكل أجهزة الجسم وأعضائه، متلاحمة ومتماسكة ضمن الكل مؤلّفة وحدة في تنوع حيوي.

- الاختزال (Simplification) :

هو المبدأ الذي يسعى إلى تبسيط التعقيد من خلال شروح تقوم على وجود الظواهر في مستوى أدنى، وإن إحالة الظواهر البيولوجية إلى عوامل فيزيائية يعني التسليم بأن جسم الإنسان آلة حية. وقد ساهم في تشكيل هذه الصورة إضافة إلى ديموقريطس، صاحب النظرية الذرية، كل من ديكارت ولامتري. وقد سار علماء القرن الماضي وفقا لهذا النموذج، إذ أخذت الكيمياء الحيوية تردّ المواد العضوية إلى مواد غير عضوية، كما ترد الميكانيكا الحيوية حركات أعضاء الكائن الحي إلى قوانين الميكانيكا، ويرد علم النفس الفسيولوجي الظواهر النفسية إلى عوامل عضوية. ويقول كلود برنارهنا: "إن كل خاصيات المادة الحية تعود في الحقيقة إما إلى خاصيات محددة ومعروفة نسميها خصائص فيزيوكيميائية وإما إلى خاصيات غير معروفة وغير محددة نسميها خصائص حيوية... القوة الحيوية هي إذاً قوة منظمة ومغذية ولكنها لا تحدد بأي شكل من الأشكال بروز خاصيات المادة الحية. وبكلمة واحدة فإنه على الطبيب والفسيولوجي أن يحاولا إرجاع الخاصيات الحيوية إلى خاصيات فيزيوكيميائية وليس إرجاع الخاصيات الفيزيوكيميائية إلى خاصيات حيوية"([1]1).

[1] - كلود برنار، مدخل لدراسة الطب التجريبي، ترجمة عمر الشارني ، ص:61

PDF Complete
Your complimentary use period has ended. Thank you for using PDF Complete.
Click Here to upgrade to Unlimited Pages and Expanded Features

لقد ساهمت هذه الطريقة بشكل فعال في إعطائنا المزيد من ال
هذا لا يعني نجاح مشروع برنار المتعلق بتفسير ظواهر الحي
هذه النظرية فيما بعد بالنظرة الرديئة إذ هي تستطيع أن تتحدث عن الموجات الضوئية والتغيرات الكيميائية والنبضات الكهربائية في الأعصاب ونشاط الخلايا، ولكنها لا تستطيع أن تفسر عمليات الإبصار والشم والذوق والسمع واللمس.

- التجربة والاستقراء (Indiction et expèrience):

إن التجربة التي يعتمدها المنهج التجريبي ليست تلك التجربة اللاواعية التي تؤدي إلى مجرد تراكم الأحداث. إن التجربة هنا تدرس كيفية تحول الموضوع باختلاف الظروف المحيطة وتشرح الآليات. ثم يأتي الاستقراء ليقوم بدوره. والاستقراء سلوك فكري ينطلق من الخاص إلى العام، عرّفه جون ستيوارت مِلّ بأنه الاستدلال من عدد محدد من الأمثلة المرصودة لظاهرة ما على معلومة بحيث إنها تحدث دائماً في أمثلة الفئة المعينة التي تشبه الفئة المرصودة.

إن مصدر مبدأ الاستقراء هو القول باطراد الطبيعة وانتظام وقوع الحوادث واستمرارها. وفكرة اطراد الطبيعة فكرة لا يمكن أن توضع بحد ذاتها موضع تجريب. فعلينا، بالتالي، اعتبارها مسلّمة يتم العمل على أساسها. وقد قال برنار بأن الاستقراء مبدأ لا تزودنا به التجربة(1[1]). وقد ربط بعض المفكرين الاستقراء بمقدمات كبرى لا يمكن إثباتها من خلال التجريب وليست حصيلة استقراء سابق. أما رسّل فقد اعتبر الاستقراء مشكلة منطقية يكتنفها الشك، بغير حل أو يقين(2)، ولكنه يقبل العمل بها.

ويشدد العلماء اليوم على كلية الإنسان ووحدته وتفرُّده ويشيرون إلى وجود مفهوم حيوي في الكائنات الحية جميعاً لا يمكن تفسيره عن طريق وصف الظواهر الفيزيائية والكيميائية في الجسم؛ إذ تميل الكائنات الحية جميعاً إلى تأكيد ذواتها باعتبار كل منها كلاً أو وحدة عضوية تتألف من وحدات أصغر في تفاعل دينامي مستمر.

ويقول فريتيوف كابرا بأن خصائص الكائنات الحية تتضمن جملة من الصيرورات والظواهر المتنوعة التي تشكل مظاهر مختلفة للمبدأ الدينامي ذاته، مبدأ التنظيم الذاتي الذي يتضمن العمليات الاستقلابية والتجديد الذاتي للخلايا والأنسجة والشفاء الذاتي(3). إن التنظيم الذاتي يعني أن نظام الكائن الحي ليس مفروضاً من المحيط، وإنما هو من وضع الجهاز ذاته. كما أن تمتع الكائنات الحية باستقلالية لا يعني أن الكائنات الحية معزولة عن المحيط، إذ إنها تتفاعل معه باستمرار؛ ولكن هذا التفاعل لا يحدد تنظيمها. وتتميز العضوية أيضاً بإمكانية المحافظة (ذاتياً) على التوازن في التمثيل العضوي تحت ضغط بيئة متغيرة. وهذا ما يسمى بـ"الحفاظ على السواء"(4).

لقد بنى أبقراط تعاليمه الطبية معتمداً على القوة الطبيعية للشفاء التي أدركها من خلال الملاحظة والرصد والترقُّب. وقد أثبت الطب الحديث، مزوداً بكل وسائله، صحة هذه النظرية. ويعلم الأطباء اليوم بأن الجسم له قدراته الخاصة؛ فهو يسعى ذاتياً لإكمال التئام الجروح ومقاومة الجراثيم من خلال توليد الأضداد والنظام الذاتي المناعي وارتفاع الحرارة وطرح المفرزات إلخ. كما يمتلك الجسم القدرة على تعويض الوظائف التي تتوقف بعض الأعضاء عن أدائها أو تؤديها بصورة سيئة، فتقوم إحدى الكليتين بتأدية وظيفة الكليتين معاً إذا أصيبت إحداهما أو توقفت عن العمل. ونذكر أيضاً عمليتي الهدم والبناء وعملية الإفراز الأنزيمي والهرموني ووجود مبدأ التلقيم الراجع أو كفّ التغذية المرتدة ، بمعنى أن إنتاج عنصر معين يتوقف عندما يصل تركيزه إلى حد معين في بعض الخلايا. إن الأمثلة أكثر من أن تحصى؛ ويمكن القول بأن جميع الوظائف تؤكد وحدة العضوية وديناميّتها.

1- أحمد محمود صبحي، و محمود فهمي زيدان، في فلسفة الطب – تقديم محمود مرسي عبد الله ، دار النهضة العربية للطباعة و النشر – بيروت ، ص :23

2- نفس المصدر، ص: 27

3- سليمان عزمي باشا، على هامش الطب، الجزء الثالث، الطبعة الأولى، مكتبة النهضة المصرية سنة 1949ا ، ص: 71

4– نفس المصدر، ص: 77

PDF Complete
Your complimentary use period has ended. Thank you for using PDF Complete.
Click Here to upgrade to Unlimited Pages and Expanded Features

- التناغم (Consonance):

تشدد اليوم كل العلوم الحديثة على فكرة التناغم، إذ يؤكد أينشتاين أن الكون تناسق داخلي في الكون. أما هايزنبرغ فيصف التناغم بأنه انسجام الأجزاء بعضها مع بعض ومع الكل(1[1]). و يعني التناغم داخل جسم الإنسان قيام كل عضو أو خلية بعملها بحيث تخدم كل وظيفة نفسها وتخدم كل الوظائف الأخرى. فالقلب مثلاً يحوِّل لحسابه 5% من الصبيب القلبي الكلي؛ كذلك الجهاز الرئوي مع القلب يأخذ 15% من الأكسجين الذي يقدمه لخدمة الأنسجة. وهذا أحد مظاهر اندماج الأجزاء في الكل وتعاملها في انسجام كامل.

- التدخل الطبي :

أوضحنا أن دراسة المعرفة الطبية تتم من خلال مراجعة البنى النظرية التجزيئية أو الكلية. والحق أن التدخل الطبي (المعالجة) يستند بالضرورة إلى أحد هذين المذهبين، فيعتمد إما على التدخل الخارجي أو على تنشيط القوة الطبيعية للشفاء. وإذا كان المرض حسب الطب التجريبي وجوداً خارجياً يجتاح الجسم فإن دور الطبيب ينحصر، وفق هذه النظرة، في التدخل جراحياً وكيميائياً، فيعالج الجزء المبتلى، ويترك ما تبقى لاختصاصيين آخرين. وهكذا تساهم الجراحة الحديثة مزودة بكل البدلات الاصطناعية (الورك الاصطناعي، الكلية الاصطناعية، القلب الاصطناعي، إلخ) بتثبيت الصورة الميكانيكية عن الإنسان وبثها. أما المعالجة الحديثة، بكل مُسَكِّناتها ومهدئاتها ومضاداتها الحيوية، فتعطي تصوراً عن جسم إنساني أشبه بمخبر الكيميائيين. وبات الكثير من الناس ينظرون إلى الطبيب على أنه مهندس مختص ما عليه إلا إصلاح بعض الآليات المعطلة في حال المرض أو استئصال موضع الإصابة. والحق أن هذا الموقف الذي اتفق الكثيرون على تسميته بالموقف العلمي يكاد يكون بعيداً عن العلمية نظراً لما أسبغه المرضى والأطباء على السواء من روح خرافية على العلم الحديث ولذلك المفعول السحري الذي بات المريض ينتظره من الدواء. واستعمال الأدوية ينطوي على محاذير عديدة، بدءاً بمضادات الاستطباب، فالآثار الجانبية وضرورة الانتباه إلى عملية التداخل الدوائي عند المعالجة بأكثر من دواء. وكذلك تتسبب بعض العلاجات بأمراض كسبية طبية المنشأ ، وهي الأمراض التي يتسبب بها الطبيب لمريضه من خلال تسبب الدواء المستعمل لمعالجة آفة ما بمرض آخر غير الذي أعطي الدواء من أجله.

إن طرق العلاج التي يتبعها الطب التجريبي لا تأخذ بعين الاعتبار قدرات العضوية في الدفاع عن نفسها، بل يمكن أن تلحق الضرر بهذه القدرات. يقول د. سكويفلر: "إن التدخل بيد قاسية وبأدوية مكثفة يعني الإهمال التام لقدرة العضوية على الشفاء الذاتي والخنق الجذري للفطرة القادرة على كشف هذه القدرة واستخدامها"(1[2]). أما طريقة التدخل في الطب الكلي فتتم بشكل لطيف لتساعد الجسم على استرجاع وتفعيل طاقاته الحيوية واجتياز مرحلة المرض بسلام. وتدعى هذه الطريقة بالمعالجة الطبيعية لأنها تقوم على محاكاة الطبيعة وتقليدها. ويقول الدكتور رونيه فيجان: "المعالجة الطبيعية تصور كلي للباثولوجيا العضوية ترمي من خلال دراسة العناصر المرضية المتعددة إلى الاستيفاء التام لكل الخصائص الشخصية للفرد والشروط الخاصة بمكان حياته"(2). وكذلك الدكتور أندريه باسبيك الذي يذكر أن الطبابة الطبيعية طبابة شاملة وأن أصولها الأبقراطية الرائعة والخبرة الدقيقة والمتنوعة للمشاكل الجسمانية النفسية والنفسية الاجتماعية تشكل الضمانات الأكيدة لها(3)، وتتمتع المعالجة الطبيعية بخاصيتين هامتين: النجوع والأمان. وهي تسعى مبدئياً إلى:

- توسيع وتنويع طرق التدخل.
- استعمال الطريقة الأكثر ملائمة لكل مريض مع أخذ كل ما تقدم بعين الاعتبار.

---

[1]- أحمد محمود صبحي، و محمود فهمي زيدان، في فلسفة الطب – تقديم محمود مرسي عبد الله ، دار النهضة العربية للطباعة و النشر– بيروت ، ص :48

1- كارولين غرين، بين الطب الحديث و الطب البديل – ترجمة و تحقيق مركز التعريب و الترجمة، الطبعة الأولى، الدار العربية للعلوم سنة 2000 ، ص: 21

[2]- نفس المصدر، ص: 52

3- توفيق الحاج يحيى، النبات و الطب البديل الطبعة الأولى ،الدار العربية للعلوم،1424 ه – 2003 م ، ص: 68

PDF Complete
Your complimentary use period has ended. Thank you for using PDF Complete.
Click Here to upgrade to Unlimited Pages and Expanded Features

لابد على كل حال من أن نذكر بأن أي نوع يُتَّبع من العلاج ت
والطبيب وإيمان المريض بالعلاج المقترح.

- إشكاليات الطب الحديث :

إن الجوانب الرئيسية المثيرة للإشكاليات في الممارسة الطبية هي مجالات الأبحاث الطبية وعلاقة الطبيب بمريضه وعلاقة المجموعة الطبية بالمجتمع ككل و نحاول تبيان كل عنصر على حدى

1- الأبحاث الطبية :

قد يتساءل الباحث عن أهمية الأبحاث الحيوية الطبية؟ عن فائدتها؟ عن انعكاساتها السلبية؟ والحق إن وجهات النظر حول هذه التساؤلات تتفق مع أحد النموذجين الكلي أو التجريبي. ينادي أصحاب النظرة الكلية بوجوب تطبيق معارفنا الحيوية والطبية التي نمتلكها قبل البحث عن أخرى جديدة، بينما يصر أصحاب الموقف الثاني على ضرورة الاستمرار في الأبحاث والتجارب لما يرونه من نقص في وسائل الوقاية والتشخيص والعلاج ولاعتبار التجربة الوسيلة الوحيدة لتقدم العلم وتصويب النظريات. ويختلف الباحث الطبي عن الباحث العلمي في كونه يسعى وراء الحقيقة التي تحقق فائدة مباشرة للإنسان. وتدرك مجتمعات اليوم هذه الحقيقة. وهذا ما يدفعها إلى رصد المبالغ الضخمة من أجل الاستمرار بالأبحاث، أي الاستمرار بإجراء التجارب من أجل زيادة المعلومات وتحسين الإمكانيات. لكن تحقيق هذا الهدف يطرح العديد من الإشكاليات التي ترتبط بعاملين أساسيين: المنطق والشعور. هكذا نتساءل: ما هي مشروعية التجريب؟ كيف يجب أن يتم التجريب؟ ما هي مصداقية التجريب على الحيوان من أجل معرفة ما يجري في الإنسان؟ وهل يمكن في المستقبل القريب إيجاد ما يحل محل التجريب على الحيوان؟.

يكتفي المناصرون للتجارب بتحديد شروط إجراء التجارب والاهتمام بحياة الحيوانات المخبرية، ولاسيما أن استعمال المواد المسكنة والمخدرة بات شائعاً ولم تعد التجارب تتم على طريقة القرنين الثامن عشر والتاسع عشر. أما الفريق الذي يرفض التجريب على الحيوان فيرفع شعار حقوق الحيوان رافضاً ما يتعرض له الحيوان من تعذيب تحت التجربة، معتبراً أن التضحية بالحيوان من أجل التجربة منافٍ لقوانين الطبيعة. ويضعنا هذا التفكير أمام إشكالية على درجة كبيرة من الأهمية: هل التجريب على الحيوان أمر مناف للطبيعة، بينما قتله من أجل لحمه وجلده أمر معقول ومنسجم مع قوانين الطبيعة؟!

ورفض إجراء التجارب على الحيوان يتطلب تبني نظرية إيكولوجية حقيقية وشاملة تطرح الإشكاليات وتناقشها في إطار فكري كلي ومتماسك، تأخذ فيه كل الكائنات مكانها على السلّم الكوني.

2- العلاقة بين المريض والطبيب :

إن مقاربة الطبيب للمريض تتم على مراحل متعددة، تبدأ بأخذ المريض على عاتقه، ثم وضع التشخيص الصحيح واقتراح العلاج الأنسب، ومن بعد التوقع ومراقبة تطور حالة المريض. وقد أشارت الدراسات مؤخراً إلى وجود أكثر من منطق يحكم القرار الطبي في كل مرحلة من مراحله، حيث يمكن أن يكون قرار الطبيب نهائياً قاطعاً، أو يمكن أن يكون إحصائياً أو احتمالياً أو مبهماً. وتشكل القصة المرضية التي يحصل عليها الطبيب من المريض مفتاح العلاقة بينهما. ويحافظ الطب اليوم على مكانة خاصة للقصة المرضية، بينما ركز طب القرن التاسع عشر على جمع المعلومات موضوعياً عن طريق السماعة وأجهزة التنظير والأشعة إلخ. ومن أهم أسس العلاقة بين الطبيب والمريض المصارحة في الاتجاهين. وعلى الطبيب مصارحة المريض بحقيقة حالته إلا في حالة المرض الخطير أو المميت، حيث تحدد طبيعة المرض ودرجة تطوره حالة المريض النفسية والجسمانية وأهمية تعاونه وما إذا كان على الطبيب مصارحته واختيار وقت هذه المصارحة وكيفيتها. ويتطلب هذا النوع من الحالات البحث عن طرق المساندة الروحية والنفسية لهؤلاء المرضى وكيفية مساعدتهم في مواجهة مصيرهم. وتلعب الطبابات اللطيفة والطبيعية هنا دوراً هاماً لأنها تتعامل مع المريض على أنه جسم وروح، ولارتباطها بالعديد من المنقولات الروحية. وهنا لابد من الإشارة إلى تطور مثير للقلق يتجلى في حالة الاغتراب المزدوج الذي يتمثّل، من جهة أولى، في تزايد ابتعاد الطبيب والمريض أحدهما عن الآخر بهوة تزدحم فيها الأجهزة والأدوات والوسائل التشخيصية المعقّدة، ومن جهة ثانية في تزايد ابتعاد الطب عن الأطباء الممارسين الذين هم على احتكاك يومي مع المرضى، ويصادفون الكثير من الحالات والشكايات التي لا يقدّم لهم الطب أية وسائل لمواجهتها.

PDF Complete
Your complimentary use period has ended. Thank you for using PDF Complete.
Click Here to upgrade to Unlimited Pages and Expanded Features

3- العلاقة بين المجتمع والأطباء :

على الجماعة الطبية تنمية ثقافة طبية قابلة للتعميم تؤدي إلى الطبي ولطبيعة الإشكاليات الطبية والبحث الطبي ينمي عنده الحكم والحس النقدي؛ كما يجب الاهتمام بأساليب الوقاية جنباً إلى جنب مع العلاجات، ولاسيما أن الوقاية الشاملة الفاعلة يمكن أن توفر مبالغ طائلة تنفقها المجتمعات والدول ثمناً للأدوية والعلاجات المختلفة. إن المجتمعات ببنيانها وسياساتها القائمة اليوم توفر الاهتمام والرعاية للمؤسسات والأجهزة الطبية أكثر من اهتمامها بالأفراد وبالصحة العامة. إن حق الصحة والطبابة لم يصر إلى اليوم حقاً عاماً أو حقاً أساسياً من حقوق الإنسان تضمنه شرعيتها المعلنة، وما زال الكثيرون عاجزين ليس عن تأمين طبابتهم فقط بل عن تأمين لقمة عيشهم وصون كرامتهم الإنسانية.

4- أثر و خطورة بعض الأدوية الكيماوية :

إن الأدوية التي يتعاطاها المريض تسبب آثاراً جانبية غير مرغوبة، بعضها يكون أعراضاً خفيفة لا تشكل خطراً على المريض وبعضها قد يهدد حياته. وذلك لأسباب متعددة، منها ما يحدث بسبب طبيعة جسم الإنسان، أو بسبب خصائص الدواء، أو بسبب زيادة الجرعة الدوائية الموصوفة، أو أحياناً عند استخدام دواء آخر أو مع تناول أغذية معينة أو بسبب عدم التشخيص السليم أو غيرها من الأسباب، و الجدول الآتي يعطي نظرة تفصيلية لبعض الأدوية مع تبيان آثارها الجانبية :

- الأدوية	- التفاعلات و الآثار الجانبية
- الأميدوبيرين	- اضطراب كريات الدم البيضاء
- الكليوكينول	- ضعف البصر
- إستولات الاريثرومايسين	- التهاب و اضطراب في الكبد
- حبوب منع الحمل	- الانصمام الخثاريش والجلطات الدموية
- الستاتينات	- التنكّس العضلي
- الثاليدوميد	- تفقّم الأطراف (تشوّه يصيب الرضّع)
- الفلوريد (معجون أسنان)	- هشاشة بنية العظام، التأثير على قدرات الإستيعاب والتعلم ،الخلل في الدماغ
- الأسبرين	- الطفح الجلدي وتورّم في الوجه والعينين طول استخدامه يسلب فيتامين "بي" المركب، الكالسيوم، حمض الفوليك، الحديد، البوتاسيوم، فيتامين "إيه" وفيتامين "سي - ونزف من الأنف والفم ورغبة شديدة في حكّ الجلد. وإصابة الأطفال بمرض خاص تتجلى أعراضه في حدوث تضخم في الكبد واصفرار في لون المريض مع انتشار تجاويف مملوءة بالشحم في نسيجه، و حدوث نخر في أطرافه.
- الكورتيزون وعقاقير الهرمونات	- ارتفاع ضغط الدم , ترقق العظام , السكري , حب الشباب , تراكم المياه والأملاح داخل الجسم , زيادة الصفائح الدموية وفشل النخاع الشوكي وأما التوقف المفاجئ عن استعماله فيتسبب في انهيار المريض ووفاته .
- الزنيكال	- سرطان المعدة والإسهال الدائم
- الأستروجين والبروجستين	- خطر الإصابة بأورام في الصدر
- الفولتارين	- إلحاق أضرار خطيرة بالكبد
- أدوية الربو	- رجفة اليدين والإصابة بحساسية مفرطة

PDF Complete
Your complimentary use period has ended. Thank you for using PDF Complete.
Click Here to upgrade to Unlimited Pages and Expanded Features

- المضادات الحيوية	- التهاب الكبد وارتفاع نسبة ا
- فايوكس	- الجلطات الدماغية
- الاستربتوميسين	- يسبب الصمم في حالات معينة
- الكلورامفينيكول	- الفشل في نخاع العظام مما يؤدي إلى أنيميا خبيثة
- الجاراميسين والجنتاميسين	- التسمم في الكلى فيؤدي بدوره إلى فشل مزمن للكليتين
- التتراسيكلين	يسبب فشلا في نمو العظام ، ظهور تشوهات في أسنان الأطفال

الى جانب هده الأعراض التي تسببها هده الأدوية الكيماوية بالنسبة للمرضى، فهي كدلك تؤثر على العاملين بالصحة. فهناك دراسات أثبتت وجود بعض من الأعراض التالية في العاملين بالصحة والمسئولين على تحضير وإعطاء الدواء للمرضى:

- تهيج وحساسية موضعية بالجلد أو الأغشية المخاطية بعد ملامسة الدواء.
- تغير في عدد كريات الدم.
- خروج الدواء مع بول الشخص المعرض للدواء مع وجود أعراض مصاحبة مثل ألآلام بالبطن والصداع وتساقط الشعر والقيء.
- ضرر بالكبد.
- إجهاض للمرأة الحامل المتعرضة للدواء أو تشوهات بالأجنة.
- اضطراب بالجهاز التناسلي الذكري يؤدي على ضعف وحدوث تشوهات بالحيوانات المنوية.
- سبب الدواء في حدوث التشوهات والسرطانات والطفرات للخلايا بسبب التعرض للدواء في حيوانات التجارب.
- وأهم مخاطر الأدوية الكيماوية الأضرار التي قد تسببها للنظم البيئية الطبيعية في حالة وصولها إلى الأحياء البرية من نبات وحيوان وكائنات دقيقة الموجودة والضرورية لتلك النظم، والأضرار الصحية بسبب وصول هذه الأدوية للإنسان السليم عن طريق مياه الصرف الصحي ومحطات معالجة المياه.

- المخلفات الطبية:

هي كل المواد المستخدمة للتشخيص أو للعناية بالمرضى داخل المرفق الصحي أو خارجه، وفي حالة تلوثها بدم وسوائل جسم المريض بطريقة مباشرة أو غير مباشرة، ويراد التخلص منها، حيث ترمي كالنفايات. وهي على درجة كبيرة من الخطورة ويجب التخلص منها بالطرق السليمة عن طريق المحارق والأفران والتعقيم وغيره ويستثنى من ذلك الأطعمة والأوراق التي يستهلكها المرضى خلال فترات العناية بهم. وكل الأشخاص المحيطين بالنفايات الطبية معرضين لخطر الإصابة بما في ذلك المنتج لتلك النفايات بالمرفق الصحي أو الأشخاص في الخارج المسئولين عن نقل والتخلص من تلك النفايات.

الأشخاص الأكثر عرضة للإصابات هم:

- الأطباء وطاقم التمريض والعاملين بالمرفق الصحي.
- المرضى.الزائرين للمرفق الصحي
- العاملين والعاملات بالنظافة والمغسلة ونقل القمامة داخل المرفق.
- عمال المكبات أو المحارق أن وجدت.

5- الأدوية المغشوشة ومخاطرها :

طفت على السطح قضية الأدوية المغشوشة أو غير المطابقة للمواصفات والتي تمثل تهديداً حقيقياً لحياة المرضى ووصفها المراقبون بأن خطورتها لا تقل عن خطورة الايدز والأمراض الفتاكة، وهي الأدوية التي يتعمد تغيير محتواها بقصد النصب والاحتيال، سواءً في الهوية أو المكونات نفسها، أو وضعها في عبوات مزيفة . وقضية الأدوية المغشوشة التي يشكو منها العالم بأسره تمثل (إرهاباً بايولوجياً) كما

PDF Complete
Your complimentary use period has ended. Thank you for using PDF Complete.
Click Here to upgrade to Unlimited Pages and Expanded Features

يصفها الخبراء ويموت بسببها آلاف المرضى لأنهم يتعاطون الجيدة.. ففي النيجر مات نحو «2500» لأصابتهم بمرض ا واكتشف لاحقاً انه مغشوش وفي هاييتي توفى مائة طفل عولجوا بدواء للسعال يحتوي على جلسرين مضافة إليه مادة كيميائية، و تشير دراسة لمنظمة الصحة العالمية إلى أن (48.7%) من حالات غش الأدوية تتم في دول آسيوية كالصين والفلبين وفيتنام وفي الدول الإفريقية بنسبة «87%» وبعض الدول الأوروبية بنسبة «36.6%» وبناء على الدراسة تبين ان الدول الآسيوية مسئولة عن «35%» من الأدوية المغشوشة على مستوى العالم، وتمثل الهند ما نسبته «35%»[1]. وتصدر هذه الأدوية عبر شركات أوروبية، وهو ما يعني أن على المرضى ألا يتوقعوا دوماً شفاء سحرياً من أمراضهم إذا تناولوها، وتكمن الخطورة القصوى في مستوى الإتقان في تقليد العلبة الأصلية الأمر الذي كان من شأنه أن يحدث لبساً شديداً لدى المستهلكين، إضافة إلى اختلاف تركيبة الدواء عن التركيبة الأصلية.

وهناك عدة أنواع من طرق غش الأدوية حيث أن الأدوية المغشوشة إما أن تحتوي على المادة الفاعلة للدواء ولكن بنسبة أقل من المتعارف عليه مقارنة مع الدواء الأصلي، ومن دون إضافة أي مواد غريبة معه، كما يكون مفعول هذا الدواء المغشوش أقل من الأصلي علاجياً وبالتالي يشكل خطورة على المريض. وقد يحتوي الدواء المغشوش على مكونات أخرى غير فاعلة علاجياً، إضافة إلى المركب الأصلي للدواء أو دونه مثل استعمال الماء في قطرات العين وإضافة مادة الدقيق في أقراص الأدوية.

وتشير إلى أن بعض الأدوية المغشوشة يستخدم فيها مكونات كيميائية غير المركب الأصلي مثل بودرة الطباشير والطوب والاسمنت والمعادن والدهانات وملصقات الأثاث، حيث تعد هذه أخطر الوسائل في تجارة الأدوية المغشوشة لما تحتويه من مواد عالية السمية فتشكل ظاهرة صحية عامة في غاية الخطورة.

وهناك عوامل عديدة تشجع على ممارسة هذا النشاط الإجرامي منها وأهمها :

- الأدوية تُعتبر مجال جذاب للغش والتزوير
- النقص في الأدوية
- ارتفاع أسعار الأدوية
- التباين الكبير في أسعار الأدوية
- الاستعمال الخاطيء والعشوائي للأدوية
- ضعف السيطرة على تصدير الأدوية
- التجارة من خلال وسائط متعددة
- التجارة عبر المناطق والموانيء الحرة

وقد طالت العملية العديد من الأدوية، خاصة منها المسكنات و أدوية الأمراض المزمنة. وهذه بعض الأمثلة للأدوية التي يتم الغش والتزوير فيها:

- ريداكتيل 150 مجم(Reductil 150 mg)
- زينيكال120مجم (Xenical 120 mg)
- فياجرا (Viagra)
- سيالس (Cialis)
- ليفترا (Levitra)
- دياميكرون(Diamicron)
- أوجمنتين أقراص 375مجم (Augmentin tab. 375 mg)
- سيروكسات أقراص 20مجم (Seroxat tab. 20 mg)

6- هيمنة و احتكار الشركات المصنعة للأدوية :

1- http://today.reuters.com/news/newsArticle.aspx?type=scienceNews&storyID/10/10/27

PDF Complete
Your complimentary use period has ended. Thank you for using PDF Complete.
Click Here to upgrade to Unlimited Pages and Expanded Features

إن هناك اعتراف دولي بخطورة (مافيا) الأدوية واحتكاراتها التي تحفظ لها إنتاج أو إخفاء الدواء تبعاً للأرباح التي تجنيها، وهدفها الأول والأوحد هو الربح والمال. فقد كشفت دراسة -أعدتها هيئة معنية بمراقبة انشطة شركات الأدوية الألمانية بأسواق العالم الثالث- أن عددا كبيرا من تلك الشركات تصدر للدول النامية منتجات غير مطابقة للمواصفات الطبية، كما أن المواد الداخلة في تركيب بعض الأدوية التي تنتجها محرمة دوليا أو محظور استخدامها في ألمانيا لخطورتها على صحة الإنسان. وأوضحت هذه الدراسة أيضا أن **39%** من إجمالي الأدوية والمستحضرات الطبية التي تصدرها تلك الشركات للدول النامية عديمة الفائدة تماما أو أنها ذات تأثير سلبي على صحة الإنسان، بل وبعضها تم حظر استخدامه في ألمانيا منذ سنوات. ومن بين تلك الصادرات مادة البرولينتان المحرمة في ألمانيا والتي ما تزال الشركة نفسها تصدرها إلى دول العالم الثالث.

ولعل تراجع أرباحها مؤخراً بسبب الأزمة المالية العالمية هو ما دفع نحو اختراع خطر أنفلونزا الخنازير والاستقتال لتسويق لقاحه الذي تم تصنيعه خلال شهرين أو ثلاثة, بينما هناك عشرات الأمراض التي تفتك بالبشرية منذ عشرات السنين كالملاريا والسل والإيدز واللايشمانيا, والتي تصيب وتقتل الملايين سنوياً, ورغم ذلك تعثرت كل الجهود لإنتاج لقاح لها, بل لم يطور لها أي دواء جديد إلا ما ندر على مدى عشرات السنين.

و في آخر صيحة احتكارية لهده الشركات، وضعت بدعة حقوق الملكية الفكرية التي هي آخر إبداعات العقل اللصوصي الاحتكاري النهاب المسيطر على العالم، ففي عام 2005 دخلت اتفاقية "حقوق الملكية الفكرية المرتبطة بالتجارة" (TRIPs)[1] موضع التنفيذ على الصناعات الدوائية في العالم الثالث، وهذا أمر بالغ الخطورة، فهو سيؤثر على صحة وحياة مليارات من البشر، وحين يكون المرض مصدر ربح وإثراء لشركات الدواء فتوقعوا الكثير الكثير من الأمراض!!!

وتفرض اتفاقية "حقوق الملكية الفكرية المرتبطة بالتجارة" (TRIPs) على مصانع الأدوية في العالم الثالث الحصول على إذن من الشركات الغربية المصنعة للدواء كي تصنع أدويتها، وبالتالي عليها أن تدفع لتلك الشركات مبالغ من المال،و هذا أمر سيرفع تكلفة الدواء في العالم الثالث كثيراً و يجعل أغلب سكانه غير قادرين على الحصول على الأدوية الأساسية. و هدا ما يسمى باحتكار المعرفة.

و هده الفكرة تعود بالبشرية آلاف السنين إلى الوراء. إلى العصور القديمة،حيث كان كهنة المعابد يستغلون معرفتهم بالقراءة والكتابة وبعض الأمور الضرورية لحياة الناس الاقتصادية، كمواعيد فيضان النيل في مصر القديمة وما يرتبط به من شؤون الزراعة، والفلاحة، ليشكلوا طبقة تتحكم بشؤون الناس وتعيش حياة مترفة على حساب تعبهم و شقائهم واستخلاص فائض إنتاجهم كي يبقوا مرضى، جهلة، معدمين..الخ. إن احتكار المعرفة يعود البشرية إلى تلك العصور، وهذا ما قننته اتفاقية الغات للتجارة الحرة التي انبثقت عن جولة أورغواي عام 1994 عبر إدراج حقوق الملكية الفكرية خاصة على المنتجات الصيدلانية والزراعية[2]، وهذا ما صب مزيدا من المال في طواحين الأغنياء. كما تتجاهل شركات الأدوية حقيقة أن المعرفة ملك للبشرية جمعاء، فهي تستفيد من الأعشاب الطبية والمنتجات الطبيعية الموجودة في العالم الثالث دون أن تحفظ حقوق البشر الذين حفظوا أسرار هذه النباتات وصانوها على مر القرون.

و لإبعاد الشبهة تتذرع شركات الأدوية بأنها تدفع الكثير من النفقات لتطوير الأدوية وإجراء الأبحاث وبالتالي لا بد لها من الحماية من أجل أن تسترد التكلفة التي دفعتها من أجل إدامة البحث وتطوير أدوية جديدة، لكن كثيراً من الباحثين المدققين لاحظوا أن لا صحة البتة لما تدعيه شركات الأدوية.

و خير دليل على بطش هده الشركات، و أهدافها المادية الخالصة ما حدث في مسألة مرض أصطلح عليه داء النوم. ينتشر هدا الداء في إفريقيا، وهو مرض قاتل ينتقل عبر لدغة بعوضة تسمى ذبابة (تسي

1- كارولين غرين، بين الطب الحديث و الطب البديل – ترجمة و تحقيق مركز التعريب و الترجمة، الطبعة الأولى، الدار العربية للعلوم سنة 2000، ص : 78

1- نفس المصدر السابق، ص : 78

PDF Complete
Your complimentary use period has ended. Thank you for using PDF Complete.
Click Here to upgrade to Unlimited Pages and Expanded Features

تسي)، تنتقل المثقبيات المسببة للمرض عبر الدم إلى العقد الب
مفصلية، ثم يهاجر الطفيلي إلى الدماغ ويؤدي إلى اضطراب
استؤصل المرض في الستينيات من القرن الماضي لكنه عاد ليشكل حالة وبائية، وبدون معالجة فإن مصير المريض المصاب بهذا المرض الموت المحتم بعد إصابة الدماغ والنخاع الشوكي.

يوجد في أفريقيا 60 مليون إنسان معرضين للإصابة بهذا المرض، ويقدر عدد الإصابات بـ 500 ألف إصابة سنوياً، وهو ينتشر بمعدل أسرع بثلاث مرات من معدل انتشار الإيدز في أفريقيا، ففي العام 1974 كان هناك ثلاث تقارير فقط عن حالات إصابة بهذا المرض في أنغولا، أما في عام 2000 فقد قدر عدد الإصابات بأكثر من 100 ألف إصابة، وقد تصاب الأبقار بهذا المرض، وتتركز الإصابات في أنغولا، والكونغو الديمقراطية، والكونغو، السودان، إثيوبيا، المالاوي وتنزانيا[1].

كان هذا المرض يعالج بدواء اسمه MELARSOP ROL وهو مشتق من الزرنيخ وقد اكتشف قبل سبعين عاماً وتبلغ نسبة وفيات المرضى المعالجين به 15-20%. لكن أثناء بحث إحدى شركات الأدوية عن دواء جديد لعلاج السرطانات جربت مادة دوائية اسمها eflornithine وبالصدفة البحتة اكتشفت الخواص الرائعة لهذا الدواء في معالجة مرض النوم، فهو يصل للدماغ والنخاع الشوكي وآثاره الجانبية قليلة وتقتصر على ألم بالبلعوم لذلك سمي ((عامل الانبعاث)) لأن المريض يكون مخبولاً خاملاً وما إن يتناوله حتى يستعيد وعيه ونشاطه بشكل سحري. بدا أن هذا العقار سيحقق ثورة في معالجة هذا المرض، لكن في عام 1995 أوقفت الشركة إنتاجه بسبب عدم فعاليته في علاج السرطان و قلة الطلب عليه كدواء لعلاج مرض النوم لأن أسعاره غالية وتفوق مقدرة الأفارقة على شرائه، ولم تفلح المناشدات والضغوط التي مارستها منظمة الصحة العالمية وبعض منظمات المجتمع المدني وبعض القادة، لم تفلح في ثني الشركة عن قرارها إيقاف إنتاج الدواء بحجة عدم وجود مشترين له.و حرم المرضى من هذا الدواء الفعال ست سنوات كاملة، منذ عام 1995 وحتى عام 2001،[2] وفي هذه المدة عاد الأطباء لاستخدام الأدوية القديمة، السامة، القاتلة.

في عام 2001 اكتشفت الشركة المنتجة خواصا أخرى غير متوقعة لأحد مشتقات هذا الدواء، فعندما طبق بشكل كريم على وجه المرأة منع نمو الشعر الزائد، فأنتجته الشركة بشكل كريم لأن لهذا المنتج كثير من المشترين في السوق الأمريكية والأوربية، وتعرضت الشركة لفضيحة أخلاقية فهي رفضت في الماضي إنتاج الدواء لإنقاذ الأفارقة من الموت لكنها أنتجته لإزالة الشعر الزائد عن وجه الأمريكيات، وبسبب التشهير الذي تعرضت له أعادت إنتاج الدواء لاستعماله في علاج مرض النوم.

ورغم ذلك ما زال الدواء غير متوفر بشكل جيد في المناطق الموبوءة، كما أن هناك حاجة لتطوير مركبات أبسط منه، وبدون خطة متابعة طويلة الأمد سيظل هذا المرض بعيدا عن السيطرة.

وهل هناك ما هو أبعد من ذلك يمكن أن نصل إليه ؟ أصبحت مشكلة الشعر الزائد على الوجه أهم من منع وفيات يمكن بكل تأكيد منع حدوثها ؟ عندنا الوسائل و لكننا لا نملك الإرادة لفعل ذلك.

إن ما يجري في عالم الصحة يعكس صورة صادقة عن علاقات النظام العالمي القائم، الذي لا يكترث سوى للأرباح ولا يقيم وزناً ولا قيمة للحياة البشرية فيبددها في حروب لا هدف لها سوى الربح، أو يتلاعب بصحتهم فيدفعهم لاستهلاك منتجات وأدوية ليسوا بحاجة لها، أو تمنع عنهم أدوية هم بأمس الحاجة لها لأنهم لا يقدرون على دفع ثمنها!!!

7- إشكالية التخصص في الطب الحديث :

انه لا سبيل لإنكار ما توصل إليه الطب الغربي من معرفة دقيقة بكل عضو من أعضاء الجسم البشري، و يرجع ذلك إلى منهجية التخصص الدقيق في كل فرع من فروع الطب، الذي يعد إحدى سمات الطب الحديث. ولكن هناك إشكالية في هذا التخصص، تطرح نفسها وهي: هل الكل هو مجرد مجموع أجزاء، أو هل الإنسان هو مجوع أعضاء فقط ؟ ألا تؤدي التجزئة اللازمة عن التخصص إلى تعذر معرفة الإنسان ككائن عضوي متكامل؟ يقول ألكسيس كارليل :"انه من المستحيل أن يفهم الإنسان ككل العالم

2- فيليب عطية، أمراض الفقر، عالم المعرفة 161، الكويت 1992، ص : 69

[1]- نفس المصدر ص : 70

PDF Complete
Your complimentary use period has ended. Thank you for using PDF Complete.
Click Here to upgrade to Unlimited Pages and Expanded Features

المتخصص تخصصا دقيقا في فرع معين، مادام غارقا إلى أذ
الإفراط في تخصص الأطباء قد سبب ضرار كبيرا لأن الطب
جزء منها أخصائي، و كلما ازداد الأخصائي تعمقا في تخصصه ازدادت خطورته نظرا لجهله بغير مجال تخصصه.

- نتائج الثورة الطبية الحديثة :

حتى يومنا هذا، ننتظر أن يتراجع المرض أمام الثورة الصناعية الكاسحة التي شهدها العالم في الخمسين سنة الأخيرة، ولكن العكس تمامًا هو الذي يحدث. فقد عرف الإنسان الحديث أمراضا فتاكة لم تكن معروفة أو منتشرة بهذا الشكل من قبل. مثل داء الإيدز. وأظهرت الإحصائيات أيضا، أن نسبة المرضى قد زادت بأضعاف، فمثلا نسبة مرضى القلب في عصرنا أكثر من أي نسبة قد مضت. وهذا حال ضحايا السرطان والسكري على حد سواء.

ولم يتوقف الطب الحديث إلى هذا الحد، فقد أنتج هذه الحبة الصغيرة "المعجزة"، التي إن بلعناها يكون المرض من الماضي. هذا هو غسيل الدماغ الذي أعمانا عن الحقيقة القاتلة، فكم من أعراض جانبية غير المرغوب فيها نتيجة هذه الحبة؟ فلا يوجد دواء خالٍ من الآثار الجانبية مطلقًا. منها الغثيان، الإسهال، الاضطرابات الهضمية، الطفح الجلدي، النعاس، تشويش الرؤيا وغيرها الكثير.

ففي سنة 1997م تم حجز أكثر من 2 مليون أمريكي في الأقسام المختلفة بالمستشفيات نتيجة الأضرار الجانبية للأدوية الكيميائية([2]). والإحصائيات العالمية تؤكد أن الأمراض التي يسببها سوء استخدام الأدوية الكيميائية السبب الرابع للوفاة بعد أمراض القلب والسرطان والجلطات المخيّة.

و على الرغم من السيطرة على العديد من الأمراض البدنية التي تجلت بانخفاض نسبة الوفيات،إلا أن التطور الحضاري السريع، و عجز الإنسان عن مجاراة هذه السرعة، أديا إلى انخفاض مستوى المناعة في أجهزة البشر و أعضائهم، و بالتالي ظهور العديد من الأمراض المختلفة، منها النفسية و الأورام و الادمانات المختلفة على أدوية معينة، آخرها ما أصطلح عليه بافلونزا الخنازير، ووقف طب الآلة المسلح بالكمبيوتر والتقنيات المختلفة المتطورة، عاجزا أمام أمراض هذه الحضارة .

قد يرد البعض بالقول، لا وجه للمفاضلة بين الطب القديم والطب الحديث, ذلك أن هذا الأخير من أهم انجازات عصر العلم, وكيف يمكن المفاضلة بين طب كان يستند إلى خبرة ساذجة وبين طب يستند إلى تقنية متقدمة ويعتمد على علوم تجريبية كالتشريح وعلم الأنسجة وغيرها ما لم يكن الأقدمون يعرفون من أمرها إلا الشئ اليسير. هذه المقولة يرددها الكثير حتى من غير الأطباء المحدثين, وهي مقولة تحوي وقائع صادقة, والواقع أن الإشارة إلى بعض ايجابيات الطب القديم التي تجاهلها الطب الحديث لا تعنى بحال ما ترجيح الأول على الثاني, ولكن الهدف من هذه الدراسة النقدية هو محاولة وضع الطب الحديث في مساره الصحيح, وذلك بتبيان نقائصه وسلبياته ويتجلى ذلك في :

- إن المقارنة بين نسق الطب القديم والطب الحداثي يكشف بعض السلبيات في المسيرة الطبية الحديثة دون الانبهار أمام انجازاتها انبهارا يغشي الأبصار, فلقد رسخ في الأذهان أن نتائج الطب الحديث يقينية لأنها علمية تجريبية, وهذه النظرة تمخض عنها عدة تصورات أهمها :

التصور الأول : اعتماد الطب على مبدأ الحتمية, بمعنى أن علاجا واحدا ودواء واحدا لمريضين بمرض واحد يلزم عنه نتيجة واحدة .ويتبين من ذلك أنه هناك تجاهلا للعوامل الفردية الذاتية, التي قد تؤدي إلى شفاء أحدهما وموت الآخر .

التصور الثاني : إن المناهج المغايرة لنسق الطب الحديث غيبية خرافية,لأنها غير خاضعة للتجريب ولا للأحكام العلمية, الأمر الذي أدى إلى استئثار الطب الحداثي بالتشخيص والعلاج. ولكن ماذا وقد تبين صلاحية بعض الأنماط التي ينكرها الطب الغربي, فلقد اعترفت منظمة الصحة العالمية مؤخرا بالطب الصيني وصلاحيته لعلاج العديد من الأمراض .

---

[1] - دافيد رشتاين، آفاق الطب الحديث، – ترجمة محمود الأكحل ، دار الآفاق الجديدة– بيروت ، ص: 98

2- كارولين غرين، بين الطب الحديث و الطب البديل ، ترجمة و تحقيق مركز التعريب و الترجمة، الطبعة الأولى، الدار العربية للعلوم 2000 ، ص: 83

Your complimentary
use period has ended.
Thank you for using
PDF Complete.
Click Here to upgrade to
Unlimited Pages and Expanded Features

Your complimentary use period has ended. Thank you for using PDF Complete.
Click Here to upgrade to Unlimited Pages and Expanded Features

الفصل الثالث

أصول الطب و مبادئه الأولى

- مقدمة:

PDF Complete
Your complimentary use period has ended. Thank you for using PDF Complete.
Click Here to upgrade to Unlimited Pages and Expanded Features

لفترة طويلة ولأسباب يتعلق أغلبها بمفاهيم شعبية مغلوطة ظل
الممارسات الطبية الشعبية التي تفتقد في معظم الأحيان إلي ال
فالطب القديم أبدا" لم يكن عشوائيا"، فلقد كانت له فلسفته التي تستند علي تصور كامل لطبيعة الجسد الإنساني، ليس فقط تشريحيا وإنما تتعدي ذلك لتوصيف العلاقة الوطيدة بينه وبين عناصر الوجود من حوله.

-أصول الطب :

- الطب في بلاد الرافدين :

أسس السومريون لحضارة متميزة في الشرق القديم ، وهم سكان جنوب العراق القدماء من غير الساميين ، اشترك في بنائها الأكديون الساميون ، ثم أخذوا منهم المبادرة وبدؤوا يبتكرون ويقومون بإنجازات علمية وحضارية خلدت اسمهم ، ولاسيما اسم البابليين الذي طغى على أسماء غيرهم من سكان المنطقة ، حتى صار الاسم علماً على الحضارة الشرقية بعامة عند الإغريق وفي الغرب ، وفي مجال الفلك والرياضيات والفنون وعلوم الطب بخاصة .

ولقد مورس الطب كمهنة، حيث صنفت اللوحات المسمارية إلى صنفين: لوحات تشخيصية وأخرى علاجية. يشرح كلاهما تشخيص ومعالجة أصناف عدة من الأمراض كأمراض النساء والأطفال والأمراض المعدية والأمراض النفسية.

وكانت التقاليد الطبية تنص على تناوب طبيبين لعلاج المريض الواحد في العادة أولهما يدعى (ابوشو) تقتصر مهمته على تشخيص المرض و غالبا ما يتلخص ذلك في تحديد الروح أو الإله المتسبب في المرض ثم يحال المريض إلى طبيب ثان يدعى (أسو) حيث يقوم بوصف العلاج الذي يشتمل غالبا على الأعشاب([1]1).

ورغم وفرة اللوحات الفخارية المكتوبة باللغة المسمارية التي كشفها علماء الآثار ، إلا أنها لا تحتوي إلا على اليسير من العلوم الطبية، وأبرزها تلك التي عثر عليها في قصر أخر الملوك الأشوريين في مدينة نينوى حيث عثر على 660 لوحة مسمارية طبية.ومن اللوحات المسمارية المتخصصة في الطب تلك المعروفة ب (قانون التشخيص والتنبؤ الطبيين) التي تعود إلى العام 1600 ق.م(2)، وتضم ما يقرب 400 لوحة مسمارية شملت خلاصة الآراء الطبية في الحقب السابقة إلى تاريخ كتابته.

وكانت مادة العلاج الأولى هي المادة العشبية وشملت مصطلحات تثير للوهلة الأولى الاشمئزاز في نفس القارئ مثل(براز البحارة) و (السحالي الحية) و(شحم الأسد)([2]2). غير أنها في الواقع كانت أسماء سرية لنباتات استخدمت في العلاج.وقد مورست الجراحة كذلك ، بيد أن اللوحات المسمارية التي تتحدث عن تنحصر في لوحات أربع تتحدث إحداها عن شق الصدر لإخراج الصديد من الجراحة هي ضئيلة نسبيا تجويف غشاء الجنب، والأخرى عن إحداث شق في الرأس والثالثة عن كيفية العناية بالجرح بعد إجراء العملية، أما اللوحة الرابعة فكان يعتريها التهشم الأمر الذي حال دون فك رموزها.

- الطب عند قدماء المصريين :

1- سليمان عزمي باشا، على هامش الطب، الجزء الثالث، الطبعة الأولى، مكتبة النهضة المصرية سنة 1949، ص :113

2- دافيد رشتاين، آفاق الطب الحديث، – ترجمة محمود الأكحل ، دار الآفاق الجديدة– بيروت ، ص : 71

1- المصدر السابق، ص : 89

[2]- آمينة فؤاد زهر الدين، بواكير الطب الحديث، كنوز الصحة و يواقيت المنحة– شرح و تعليق : د يوسف فؤاد زهر الدين– دار الفارابي– لبنان، 2006،ص : 61

3- المصدر نفسه ، ص : 67

4- أحمد محمود صبحي، و محمود فهمي زيدان، في فلسفة الطب – تقديم محمود مرسي عبد الله ، دار النهضة العربية للطباعة و النشر– بيروت ، ص : 81

PDF Complete
Your complimentary use period has ended. Thank you for using PDF Complete.
Click Here to upgrade to Unlimited Pages and Expanded Features

مارس المصريون الطب منذ فجر التاريخ، حيث تشير المخط
لعلاج ألام العين كما واستخدموا كبريتيد الرصاص كدواء ،ك
فن الطب إلى درجة جعلت مصر قبلة للاستشفاء من أرجاء الارض و اهل الحضارات المجاورة.وهذا ما تؤكده الرسومات الهيروغليفية على جدران المعابد والقبور وأوراق البردى . فقد ذكر المؤرخ الإغريقي هيرودوت إن ملك الفرس طلب من الفرعون أحمس الثاني أن يوفد إليه أفضل طبيب عيون لديه وكان ذلك في العام 560 ق.م(2).

وقد سجل قدماء المصريين خبرتهم بالأدوية على جدران المعابد والقبور وأوراق البردي، وتعود أقدم أوراق البردى إلى العام 1825 ق.م وتعرف ببردى كاهون للأمراض النسائية في عهد أمنحتب الثالث ، حيث تشمل وصفا لتشخيص الحمل،ألام الأسنان عند الحوامل، أمراض النساء عامة،جنس الجنين، وكذلك أدوية الأنوثة ومراهمها. ومن أشهر هذه البرديات بردية (ايبرس)التي ترجع للقرن 16 ق.م . وتعتبر أقدم البرديات حيث يرجح أن تعود إلى عهد الملك دين من الأسرة الفرعونية الأولى (3000 ق.م) وهي اسطوانة يبلغ طولها العشرين مترا وتعد مرجعا ضخما للأمراض الباطنية،والجلدية والنسائية وأمراض العين والأطراف والأمراض الجراحية.كما واحتوت على مصطلحات تشريحية وفسيولوجية . إضافة إلى ما يقرب 400 دواء و 788 وصفة علاجية(3).

ومن البرديات المشهورة كذلك بردية ادوين سميث التي تعود إلى عام 1600 ق.م، والتي يبلغ طولها الخمسة أمتار و يركز فحواها على الجراحة حيث تصف ما يقرب 84 حالة جراحية من جراحات الرأس والعنق والكتفين والصدر والثدي(4). والمؤسف أن ما وصلنا منها توقف عند الصدر حيث اقتطعت الجملة من وسطها وفقدت بقية محتواها . وتصف البردية المذكورة بداية كل حالة من الحالات المذكورة ثم تصف العلاج، والطريف في الأمر أنها تصف الكسور وصفا دقيقا لا سيما تلك الكسور المتعددة التي ربما حدثت في أماكن بناء الأهرامات.

وقد تحدثت البرديات عموما عن نباتات طبية عديدة كانت تنمو في أرض مصر أو تجلب من الصومال أو السودان أوالجزيرة العربية أوالحبشة. و اعتمد قدماء المصريين في تحنيط جثث الموتى وحفظها من التلف على بعض النباتات كالحنة والبصل والصمغ وخيار شمبر والمر واللبان ونشارة الخشب والكتان ورغم ضحالة معرفتهم في أسباب الأمراض و إرجاع ذلك إلى الأرواح الشريرة فقد امتاز .ونبيذ البلح المصريون القدامى بمعرفة واسعة في علمي التشريح وعلم وظائف الأعضاء حيث اشتهروا بتحنيط الجثث في الوقت الذي دأبت الأمم الأخرى على حرقها . وقد كانت لهم طريقة مميزة في إفراغ محتوى الجمجمة من خلال ثغرتي الأنف باستخدام كلاب دقيق ، وربما انه ما كانوا ليتمكنون من ذلك لولا معرفة واسعة في التشريح وخاصة تشريح الرأس والدماغ.

وقد وصفت بردية ابرس موقع القلب وصفا دقيقا ،وبالدقة ذاتها وصفت العديد من أمراضه كاضطراب النبض. وكانوا يعتقدون أن القلب هو مصدر الأوعية الدموية، وان الدورة الدموية تنساب من القلب إلى كل أجزاء الجسم وكانوا يدركون أنها أوعية جوفاء إلا أنهم لم يكونوا يميزون بينها وبين الأعصاب والأربطة الأمر الذي أعاق فهمهم الكامل لكنه الدورة الدموية.

والمثير للإعجاب حقا أنهم برعوا في فن الفحص السريري كما تذكر برادياتهم براعة لا تقل عن براعة الأطباء المعاصرين، كما اهتموا بمحادثة المريض وأخذ السيرة المرضية.وميزوا بين الأورام المختلفة.

وكان لقدامى المصريين كذلك و صفاتهم الخاصة في تشخيص العقم و تحديد جنس الجنين وموانع الحمل ، وكان لهم دور للولادة كأجنحة ملحقة بالمعابد تؤمها الحوامل بحثا عن حرز الهي أكثر منها كأمكنة وكانوا يحثون على الرضاعة الطبيعية لثلاث سنوات على الأقل ، وكانت لهم وصفاتهم في .للولادة إدرار الحليب ، وعند فشل الأم فقط في الإرضاع كانوا يوصون بالتحول إلى حليب البقر.

وكانت لهم تعاليمهم في الجراحة : حيث دأبوا على تخييط الجروح بالإبرة والخيط، ووصفوا السرطانات في برادياتهم لا سيما سرطان الرحم، وسرطان الثدي. وقد كشف العلماء المعاصرون ما لا يقل عن39 مومياء أنثوية مصابة بسرطان الرحم([1]).واحتوت البرديات على وصف للبواسير ووصفات لعلاجها .

[1]- المصدر السابق ، ص : 87

PDF Complete
Your complimentary use period has ended. Thank you for using PDF Complete.
Click Here to upgrade to Unlimited Pages and Expanded Features

وبرعوا في الجراحة حتى أنهم استخدموا القصب لتوسيع الا
وكذلك لتخفيف الألم.واشتملت برديا تهم على وصف العديد من

- الطب الصيني القديم :

الأمة الصينية ذات الحضارة الضاربة في أعماق التاريخ خمسة آلاف عام، هي أيضا واحدة من الأوائل على وجه الأرض نشأ وتكامل فيها الطب والثقافة ذات الصلة والطب الصيني كمدرسة تعلم نشأت وتواصل ارثها، وتتقدم الآن على خلفية الثقافة الصينية التقليدية والممارسة وامتزاج العلم بالثقافة. وقبل أن يفد الطب الغربي إلى الصين، اعتمدت الأمة الصينية على الطب الصيني التقليدي، وان استخداماته التطبيقية تعلقت على نحو لصيق بجودة الحياة وازدهار الأمة.

التطبيقات للطب الصيني التقليدي قد تحددت كتراث غير مادي عالمي لتصبح جزءا من أعمال الحكومة في الصين. هذا يرمز إلى احترام وحماية التنوع في الثقافة الإنسانية، والى التماشي مع الحاجة إلى التنمية المستدامة، كما سيتيح للعالم أن يعرف الطب الصيني التقليدي بشكل أفضل.

شاع ثراء الطب الصيني التقليدي ودلالاته الثقافية، طولا وعرضا. فآلاف الأطباء الذين يمارسون الطب الصيني التقليدي هم اختصاصيون يستوعبون مهارات إبداعية خاصة ويحوزون وصفات علاجية سرية. وقد أصبح بعضهم خبراء بارزين في علاج التهاب نقي العظام والأورام الخبيثة والسل العسير علاجه.. يقدمون خدمات علاجية عالية النوعية للمرضى.

ويعد الطب الصيني من وسائل الطب البديل المنتشرة في أنحاء كثيرة من العالم، وهو من أساليب الطب القديمة التي شهدت تطوراً ملموساً، وهي كغيره من وسائل الطب يتضمن العديد من النظريات كما انه يتميز بتشخيصه وعلاجه للأمراض ويدخل في إطار ما يعرف بالطب الشرقي.

ويستخدم في تخفيف الآلام ومعالجة بعض الأمراض من خلال إدخال الإبر في مناطق معينة من الجسم. من المعروف أن كلمة "تشونغ يي" في اللغة الصينية تعني حرفيا "الطب الصيني التقليدي" أو "الأطباء الصينيون"([1]). وان كلمة "تشونغ" تعني "الصيني" تمييزا عن كلمة "الغربي". وثمة توضيحات لهذه الكلمة، فأطباء الطب الصيني التقليدي يعتقدون بمبدأ المحافظة على الانسجام والتوازن لـ"تشي" (قوة الحياة)، لأجل البقاء في حالة صحية – لا جفاف في يانغ (الطاقة الحيوية) ولا الافتقار إلى يين (الجوهر الحيوي للأعضاء). وعلى ذلك، يرى البعض ممن يعملون في هذا الميدان أن المعنى الحقيقي لكلمة "تشونغ" فيما يتعلق بالطب الصيني التقليدي هو "توازن" و"حياد". وتركز فلسفته على تثقيف المريض وتوجيهه نحو سلوك نمط حياتي سليم يمنحه دوراً في العملية الاستشفائية مثل أسس الرياضة والغذاء والاسترخاء ومعالجه التوتر.وتستند الفلسفة الصينية على عملية الوخز بالإبر ويستخدم في تخفيف الآلام ومعالجة بعض الأمراض من خلال إدخال الإبر في مناطق معينة من الجسم. وهذا النوع من الطب يؤثر على قوة الحياة لدى الفرد إضافة إلى تأثيره على قنوات الطاقة في الجسم البشري حيث يقوم المعالج الطبي بإدخال الإبرة في القنوات والأماكن المؤلمة بهدف تحفيز وسائل الدفاع الطبيعية في الدم "المناعة" لمقاومة الآلام والأمراض. و لقد ميز الصينيون حوالي خمس درجات من الحكماء الذين يمكنهم شفاء الأمراض بدءا من عدم التوازن النفسي وانتهاءا بالأمراض الجسدية الأساسية.

وتعود أهمية هذا الموروث الطبي القديم إلى أنه أثبت – وما يزال يثبت – جدارته في علاج كثير من الأمراض المعروفة بالأمراض المزمنة، من مفصلية وعصبية ونفسية وصدرية وهضمية الخ، في الوقت الذي عجز فيه الطب الغربي عن تقديم مساعدة تُذكَر حيالها. وكان أبرز جوانبه أيضًا استعماله في مجال التخدير. وثاني هذه الأسباب أن التأثيرات الجانبية لهذا الطب نادرة جدًا، أو بالأحرى شبه معدومة، إذا استثنينا طبعًا إهمال الطبيب وعدم استعماله الطرق الصحيحة للعلاج. وثالث هذه الأسباب قلّة تكاليف هذا الطب بالمقارنة مع التكاليف الباهظة للطب الغربي، وكذلك قرب الطبيب من المريض والجانب الإنساني للعلاقة بينهما .ورابع هذه الأسباب، أن هذا الطب، بخلاف أنواع الطب التقليدية القديمة الأخرى، حافظ

[1]- المصدر نفسه، ص :90

PDF Complete
Your complimentary use period has ended. Thank you for using PDF Complete.
Click Here to upgrade to Unlimited Pages and Expanded Features

على نفسه خلال خمسة آلاف سنة، واستمرَّ في التطور، كما . والكون والحياة اليومية والاجتماعية والدينية تعبيرًا بالغ الصد المختلفة عند الصينيين السببَ الأكبر في عدم تزعزع هذه المبادئ امام الافكار والمبادئ التي دخلت عليهم من الخارج، مثل الديانة البوذية وديانات الشرق الأوسط، وكذلك التأثيرات الشيوعية في القرن العشرين، والتأثيرات الغربية في أيامنا هذه؛ بل على العكس، استطاع الصينيون إدخال هذه المبادئ الجديدة ضمن مفاهيمهم الأصلية وتطويرها بما يتلاءم مع روح العصر، دون أي انتقاص من أيٍّ منها، وخلق الانسجام من جديد.

- الطب الهندي القديم :

تقوم فلسفة الطب الهندي على أن الأمراض تبدأ باختلال التوازن أو الضغوط الواقعة على وعي الشخص ويعالج هذا الخلل في التوازن من خلال التدخل في أسلوب الحياة مع الأخذ بالحسبان الصفات الوراثية ، البيئة ، الغذاء ، العمل ، العائلة. ويبحث اليوم علماء الهند التعاليم الطبية القديمة ومحاولة بعثها من جديد بعد إلباسها حلة عصرية .ويعد الدكتور تاراماندامارياداسو من طليعة الأطباء المعاصرين الآخذين بدراسة الطب الهندي القديم وتطبيقه على الطب العصري الحديث. وللطب الهندي فرعا روحيا رياضيا يعتمد على إيمان عميق وفلسفة خاصة ورياضة نفسية وجسمانية تدعى باليوغا وهو ذو شأن كبير ولا سيما في الأمراض النفسية وله تطبيقات طبية ذات فائدة .ويعتمد اليوغا على مراقبة اللاشعور النفساني والتأثير عليه وعلى الإرادة بصورة تدريجية ([1]). وهكذا توصل اليوغاويون الى حبس أنفاسهم زمنا غير قصير و تخفيضهم لحركات القلب وقد حامت الشبهات حول صحة هذا مما دعا تيريزبروس الى تخطيط قلوب اليوغاويين المخفضين لحركات قلوبهم تحت إشراف الأستاذ- لوبري- فكانت النتيجة إعلان الصدق قولهم(2).

- الأيورفيدا :

الطب الأيورفيدي هو الموروث الطبي القديم في الهند والأقاليم المحيطة . ويعتقد أنه أقدم نظام للعلاج في العالم ، بل أنه متقدم في الزمن على الطب الصيني . يشتق اسم أيورفيدا من كلمتين هنديتين : (أيور Ayur) وتعني الحياة ، و (فدا Veda) وتعني معرفة أو علم([2]) . الطب الأيورفيدي ليس مجرد نظام للعلاج ، إنما هو طريقة للحياة تضم العلم والدين والفلسفة فتحقق الصحة و العافية وتؤدي في نهاية المطاف إلى تحقيق الذات . وهو يهدف إلى إحداث وحدة بين الصحة البدنية والعاطفية والروحية. وتمكن هذه الحالة الفرد من الدخول في علاقة منسجمة مع الوعي الكوني، وتعرف الأيورفيدا كونها أقدم نظام للعناية الصحية في العالم وإن النصوص التقليدية للأيورفيدا قد تم تدوينها منذ حوالي ثلاثة آلاف سنة. إلا إن النواحي المختلفة من المعرفة الفيدية فقد تم تناقلها شفوياً منذ آلاف السنين، الأمر الذي يجعل الأيورفيدا أقدم من أي علم من العلوم الطبية. وهو نوع من العلاج الطبيعي الهندي يعتمد علي التشخيص والغذاء والأعشاب والتأمل وممارسة وسائل الاسترخاء (اليوجا) ليستعيد الجسم توازنه و جعل الشخص متوازنا ومتناسقا مع الطبيعة من حوله لأنه جزء منها .ويعتبر أن كل شخص قد ولد وبه كميات مختلفة من قوي طبيعية ثلاثة .هي قوة الهواء (الفضاء) ويسمي الشخص هوائي . وقوة النار ويسمي الشخص ناري . وقوة الماء والأرض معا ويسمي الشخص مائي أو ترابي.و هذا النوع من الطب يركز علي مراكز الطاقة الموزعة بالجسم. وهي ثمانية مراكز، وتقوم بتنسيق تدفق الطاقة بين أعضائه. وهناك ثلاث مبادئ بيولوجية أساسية وهي(الفاتا والبيتا والكافا) تسمى الدوشاس، وهي مبادئ مختلفة لتحديد النمط البنيوي. فكل فرد له تركيبته الخاصة الجسدية والروحية التي تميزه عن الآخرين. وبهذه المبادئ يمكن فهم تفاعل الجسم والسلوك والمزاج والصفات المميزة. لأنها هي المبادئ الأساسية التي تنظم جميع

1- دافيد رشتاين، آفاق الطب الحديث، – ترجمة محمود الأكحل ، دار الآفاق الجديدة– بيروت ، ص: 95

[2]- المصدر نفسه، ص : 101

1- المصدر السابق ذكره، ص : 109

[2]- آمينة فؤاد زهر الدين، بواكير الطب الحديث، كنوز الصحة و يواقيت المنحة– شرح و تعليق : د يوسف فؤاد زهر الدين– دار الفارابي– لبنان، 2006، ص : 74

PDF Complete
Your complimentary use period has ended. Thank you for using PDF Complete.
Click Here to upgrade to Unlimited Pages and Expanded Features

الوظائف الجسدية(2)، وتظهرأهمية العناصرالثلاث من خلال

1- النظام الذاتي التوازني للجسم :

إن الجسم هو نظام ذاتي التوازن(Cybernetic System) ، ويقصد بذلك انه ينظم ذاته بذاته طبقاً لنظام ترادي معقد يسعى دوماً إلى معادلة الاضطرابات التي يواجهها. مثال على ذلك، سوف يحاول الجسم أن يوازن عنصر مثير للفاتا بإفراز مخزونه من الكافا والبيتا. في حال تم استخدام كامل المخزون دون الوصول إلى نتيجة، عندئذ ينشأ خلل صحي ما. والدوشاس تعمل ضمن مجال طبيعي محدد .ليس من الضروري أن يكون توازن الدوشاس بأن يون توازن ثابت بالنسب بين الفاتا والبيتا والكافا. تتفاعل الدوشاس الثلاثة بين بعضها البعض طبقاً للظروف المتغيرة .ويتم ذلك بعملية تنظيمية مستمرة وعالية الديناميكية. إن الصحة الجيدة هي ليست حالة ثابتة، بل هي عملية مستمرة، فالجسم يستمر بتنظيم ذاته.

2- السموم وإرهاق العقل والجسم :

نحن نتفاعل بشكل مستمر مع ما حولنا. ونمتص السموم من الهواء والأكل .وبدوره يحول الجسم هذه السموم إلى الخلايا وأنسجة الجسم. كما يؤدي الخلل في عملية هضم الأكل أو المزاج السيئ أو الضغط النفسي إلى تراكم السموم في الجسم. فتعيق هذه السموم الوظيفة الصحيحة للجسم، وتمنع وصول المواد المغذية للخلايا التي هي ضرورية للتفاعل السليم للجسم. هذا ما يضعف الفعالية الطبيعية للأعضاء. و هذه الترسبات مع عدم توازن الدوشاس، هي المسببة لمعظم أنواع الأمراض. ولقد تم التحقق من فعالية الطرق العلاجية لمهاريشي أيورفيدا بواسطة البحوث العلمية الحديثة. وهناك أيضاً أكثر من ست مئة دراسة علمية حول منافع تقنية التأمل التجاوزي وحدها، المعروفة بالتكنولوجيا الفيدية للوعي. خلال العشرين سنة الأخيرة، وتدون هذه الدراسات المساهمة الفعالة لمهاريشي أيورفيدا في الحفاظ على صحة الفرد وكذلك في تحسين الطاقة الفكرية والسلوك.

- الطب القديم عند اليونان :

إن حضارة الإغريق القديمة حضارة عريقة تركت بصمات واضحة في سفر المجد الإنساني لا سيما الطبي.و يمتد عمر هذه الحضارة من 800 ق.م- 200 ب. م تدرج فيها الطب الإغريقي من الأساطير والغيبيات إلى الملاحظة والتأويل المنطقي . وانتشرت معطياته لتشمل حوض المتوسط وتمتد شرقا إلى الهند كما غربا إلى أوروبا لتفرض ذاتها إلى يومنا هذا

والمؤسف أن أعمال الأطباء الإغريق قد فقدت بعد سقوط الحضارة الرومانية في القرن الخامس الميلادي ، ولعل من المفارقات أن أوروبا لم تهتدي إلى ما تبقى من أعمالهم إلا عبر ما استقوه من نبع الحضارة العربية وما وجدوه في مكتبات الأندلسيين بعد غروب شمسهم عن الأندلس ، أو ما اطلعوا عليه من كتب عربية ترجمت تراث الإغريق مثل كتاب (شرح طب ابقراط) لابن النفيس الذي عرف الغرب ابقراط وتعاليمه من سطور الكتاب المذكور. وقد اطلعوا على هذه الكتب أثناء الحروب الصليبية وذلك في القرنين الرابع والخامس عشر الميلاديين. ومن الأسماء الطبية اللامعة في تلك الحقبة التاريخية هو (اسكليبيوس) الذي يعتبر اله العلاج عند الإغريق ، ولا يزال شعاره يستخدم إلى يومنا هذا كرمز طبي (أفعى تلتف على صولجان اسكليبيوس) حيث كانت الأفعى تعد ذات قدرة علاجية ومناعية. و لقد بدأ الطب الإغريقي ينتقل من مرحلة الأساطير بالتدريج إلى حقبة واقعية على يدي (ابقراط) الذي دعى باب الطب

- أبقراط (460-377 ق.م) : أبقراط أو بقراط أو بقرات (Hippocrates) أكثر أطباء اليونان تجديداً وشهرة في زمانه حتى إنه لقب في بعض المقامات بأبي الطب. أخذ أبقراط مبادئ الطب الكهنوتي وأوليات التشريح عن أبيه هراقليط، ثم تتلمذ لأشهر الأطباء العلمانيين الذين عرف طبهم باسم الطب الدنيوي. وبعد أن اتسعت معارفه الطبية أصبح طبيباً جوالاً ينتقل من مدينة إلى أخرى يعالج المرضى ويغني معلوماته. فكان كثير الترحال، زار مقدونية وشواطئ البحر الأسود وآسيا الصغرى، ونزل مدينة حمص، ثم انتقل إلى دمشق فعالج المرضى فيها، وعلم التلاميذ في أحد رياضها، وعاد بعد تجواله الطويل إلى قوس مسقط رأسه فأسس فيها مدرسة للطب نحو سنة 420 ق.م، لكنه مالبث أن تركها ليقطن في لاريسة التي أنشأ فيها مدرسة للطب وقضى فيها بقية حياته. ولقد مارس أبقراط الطب على آلاف المرضى في قوس وفي المدن التي زارها، فذاعت شهرته حتى كان من بين مرضاه حكام وملوك،

PDF Complete
Your complimentary use period has ended. Thank you for using PDF Complete.
Click Here to upgrade to Unlimited Pages and Expanded Features

واستدعته أثينة ليحاول إيقاف وباء الطاعون الذي تفشى فيها، الثاني (404-358 ق.م) (Artaxerxes)، ملك الفرس، للحدّ الوفير لكنه رفضه لأنّ ذاك الملك كان عدواً لبلاده[1].

كان لأبقراط فضل كبير في نقد المعارف الطبية القديمة. فقد استطاع أن يحرر المعالجة من تأثير الطب الكهنوتي والمفاهيم الفلسفية، فأوجب الاعتماد الكلي على العلاج الطبي والابتعاد عن الطقوس والرقى السحرية، وكان يكره الخفاء ويبغض الأساطير، ويعتقد أن للأمراض جميعها علاً طبيعية، وإن كان يشير أحياناً على المريض الاستعانة بالصلاة والدعاء. ولما كان للفلسفة في ذاك الحين تأثير بالغ في طرق المعالجة فقد دفعه ذلك إلى القول: «إن النظريات الفلسفية لا شأن لها بالطب ولا موضع لها فيه، وإن العلاج يجب أن يقوم على شدة العناية بالملاحظة، وعلى تسجيل كل حالة من الحالات السريريّة وكل حقيقة من الحقائق المرضية، وإن الاهتداء بالأعمال الطبية إنما يكون بالخبرة والتجربة العملية»(2). فهو يرفض كل ما هو سابق للتجربة ولا يأخذ إلا بالاستنتاج المنطقي الصادر عن حوادثها.

ولقد سعى أبقراط إلى أن يجعل الطب علماً موضوعياً ويعطيه شكلاً متكاملاً، فكان يتبع في فحصه الاستجواب والقرع والجسّ، كما كان يدقق في مفرغات المريض ويدرس الشروط التي يعيش فيها من مكان وغذاء ومناخ. ومع هذا فإن الطب الإغريقي لم يخلُ من تأثير الفلسفة إذ كان أبقراط يأخذ بنظرية الأخلاط التي ترتكز على وجود الأخلاط الأربعة: الدم والبلغم والصفراء والسوداء، ويقول إن الإنسان يتمتع بالصحة الكاملة إذا امتزجت هذه العناصر بنسبها الصحيحة، أما في حالات المرض أو الموت فينقص بعضها أو يزيد أو يفسد، كما يقول إن هذه الأخلاط تتأثر بالجو والطعام ومزاج الفرد واختلاف محيطه. ولكن على الرغم من هذه الآراء الخيالية كلها في الأخلاط، لابد من النظر بإعجاب إلى الملاحظات التي أوحت له بها مشاهداته كتأثير العمر والفصول والمناخ وغيرها.

كان أبقراط يؤمن بالعدوى في الإصابة بالجرب والرمد والسل، ووصف في بعض كتبه لوحات سريرية كثيرة عن الصرع والكزاز والتهاب الغدة النكفية وحمى النفاس وحمى الثلث وحمى الربع وبعض آفات غشاء الجنب والرئتين، ولكنه لم يأت على ذكر الحصبة والخناق (الدفتريا) والحمى القرمزية، كما أنه فسر سبب التقيحات تفسيراً خاطئاً. وكان تصوره لطبيعة جهاز الدوران مغلوطاً، فقد كان يرى أن الهواء هو العامل الحيوي في حركة الدم، إضافة إلى أنه لم يفرق بين الشرايين والأوردة، كما لم يقدم جديداً في الجملة العصبية، وقد تبنى رأي ألقميون (Alcmeon) في عمل الدماغ فكان يقول: «به نفكر ونبصر ونسمع ونميز القبيح من الجميل والغثّ من السمين»([2])

والمعارف التّشريحية عند ابقراط محدودة إلا فيما يتصل بالعظام. فقد تخيّل مقعداً من الخشب يحمل ملفافات تسمح بالشدّ لردّ الخلوع والكسور المتبدلة وإعادة العظام المصابة إلى مواضعها. وقد ذكر في بعض كتبه تعليمات تتناول تحضير غرف العمليّات الجراحية وتنظيم الضوء فيها وتنظيف اليدين والعناية بالأدوات الجراحية وإيضاح طريقة استخدامها وسبل تضميد الجروح وما إلى ذلك. وقد تركت ملاحظاته الدقيقة التي دونها بموضوعية بعض العلامات التي لاتزال ذات قيمة. فهناك عدد من الأعراض والمتلازمات التي لايزال الأدب الطبي ينسبها إليه كالأصابع الأبقراطية، وهو ضرب من تشوه الأصابع يتصف بتضخيم عضلات السلاميات الأخيرة وانعطاف الأظافر نحو راحة اليد، وأكثر ما تشاهد الأصابع الأبقراطية في حالات القصور الرئوي المزمن، وفي الآفات القلبية الوعائية المزرِّقة، وفي بعض إصابات السّبيل الهضمي كالتشمّعات والسّلائل المعويّة. وهناك السّحنة الأبقراطية وهي السّحنة الشديدة الضعف التي يبدو بها المريض وهو في النزع الأخير، وقد وصفها أبقراط وصفاً حسناً.

1- المصدر السابق، ص : 79

[2]- المصدر نفسه ، ص:113

1- المصدر السابق، ص : 127

[2]- كارولين غرين، بين الطب الحديث و الطب البديل – ترجمة و تحقيق مركز التعريب و الترجمة، الطبعة الأولى، الدار العربية للعلوم سنة 2000، ص :89

3- نفس المصدر، ص: 102

4- نفس المصدر ، ص :122

PDF Complete
Your complimentary use period has ended. Thank you for using PDF Complete.
Click Here to upgrade to Unlimited Pages and Expanded Features

وهناك أيضاً الرّج الأبقراطي، وهو طريقة استقصاء سمعية ل
ممزوج بهواء.
لم تختلف المواد الدوائية التي استعملها أبقراط عن تلك التي كانت تستعمل في عصره. واكثر ما كان يعتمده منها: المقيئات والرحضات الشرجية والحجامة والكمادات والمراهم والتدليك، ولم يلجأ كثيراً إلى الاستدماء. وكان اعتماده على نوع الغذاء والصوم والحمامات المعدنية والتمارين الرياضية والهواء النقي أكبر من اعتماده على الأدوية، فمن أقواله مثلاً: «عش عيشة صحية تنج من الأمراض إلا إذا انتشر وباء في البلد أو أصابتك حادثة»(2). ومنها: «إذا مرضت ثم اتبعت نظاماً صالحاً في الأكل والحياة أتاح لك ذلك أحسن فرص الشفاء»(3). وكذلك قوله: «كلما أكثرنا من تغذية الأجسام المريضة زدنا تعريضها للأذى»(4).

- الطب العربي الإسلامي :

لفترة طويلة ولأسباب يتعلق أغلبها بمفاهيم شعبية مغلوطة ظل مصطلح الطب العربي يعني تلك الممارسات الطبية الشعبية التي تفتقد في معظم الأحيان إلي الدقة ، أو إلي سند مقنع حتى من الطب العربي نفسه ، وهنا المفارقة، فالطب العربي القديم أبدا" لم يكن عشوائيا" أو متخبطا" أو متواكلا ".
الطب العربي القديم كانت له فلسفته التي تستند علي تصور كامل لطبيعة الجسد الإنساني ليس فقط تشريحيا وإنما تتعدي ذلك لتوصيف العلاقة الوطيدة بينه وبين عناصر الوجود من حوله ، كثير من الأطباء العرب بل معظمهم تقريبا أرخ لذلك ولم يغفلوا أبدا المنجزات البشرية الطبية.
ولم تكن معارفهم الطبية مجرد ترديد للتراث الطبي اليوناني والإغريقي ، بل كانت لهم إنجازاتهم التي لا يمكن بأي حال من الأحوال إغفالها : الدورة الدموية – الفتوحات الكبيرة في علم التشريح – القواعد الكبيرة في الأقربازدين (علم الأدوية) – وغيرها من الإنجازات العربية الخالصة.
ولقد كان للعرب في الجاهلية تجاربهم في الطب، وقد أضافوا إليها ما اكتسبوه من الأمم المجاورة كالفرس والهنود وغيرهم. وقد انتهجوا طريقتين للعلاج أولاهما الكهانة والعرافة، والثانية ما خبروه من عقاقير نباتية إضافة إلى الكي والحجامة والفصد. ومن أبرز أطباء الجاهلية زهير الحِمْيري، وابن حزيم، والحارث بن كلدة صاحب كتاب المحاورة في الطب، والنضر بن الحارث. أما في الإسلام، فقد بدأ الطب يتأثر رويدًا رويدًا بالطب المحدث بدءًا من العصر الأموي؛ إذ أخذ العلاج يتأثر بالطب الإغريقي، ومن أشهر الأطباء في ذلك الوقت ابن أثال والحكم الدمشقي وعبدالملك الكناني طبيب عمر بن عبدالعزيز. وقد علا شأن الطب في عهد الدولة العباسية بزيادة احتكاك العرب بالأمم الأخرى التي فتحوا بلدانها، واستقدم الخلفاء أفضل الأطباء منهم مثل جورجيس بن بختيشوع وابنه جبريل، ويوحنّا بن ماسويه، وقد اشتهروا بجانب كونهم أطباء بنبوغهم في الترجمة والتأليف.
إن الطب الإسلامي يرتبط ارتباطا وثيقاً بالإسلام الذي هو طريقة متكاملة للحياة. إن المسلم يؤمن إيمانا لا يتزعزع بالقرآن الكريم، وكما أن المسلم لم يندهش لتقدم الطب أو العلم الحديث وهو كذلك لا يعارضه فهو يعلم أنه لا يمكنه العيش اليوم بدون الطب الحديث معتمداً على العقاقير والأساليب القديمة، ولكنه يتبنى الطب الحديث فقط بعد أن يخضعه لقيم و تعاليم الإسلام .
وتقوم فلسفة الطب الإسلامي أساساً على أن الإنسان رمز الوجود، وأنه مفتاح فهم الوجود والكون كله، والإنسان (العالم الصغير) هو صورة مصغرة (للعالم الكبير) الذي يرمز للكون، و يملك الإنسان جسماً وفيه توجد الروح وهما متصلان، هناك تفاهم وانسجام بين كافة المخلوقات وتفاعل بين عوامل الكون المختلفة وكذلك بين أجهزة وأعضاء جسم الإنسان .
وتؤلف الأحاديث النبوية المتعلقة بالطب، من صحة ومرض ودواء وداء، جزءاً من مصنفات المحدثين وكتب علوم الحديث النبوي الشريف، وهي تخضع كغيرها لمنهج النقد الحديثي، وللحكم عليها بعد ذلك.
إلا أنه ومنذ القديم قام كثير من العلماء بإفراد هذه الأحاديث في مؤلفات خاصة بها، كما قاموا بشرحها والتعليق عليها، وإضافة كثير مما يتعلق بطب الأعشاب إليها، وما ذلك إلا لأهمية علم الطب من جهة، ولإبراز ما وفق الله سبحانه نبيه وهداه إليه من علاجات ونصائح وأدوية وإجراءات كانت تمثل علماً خاصا، ثبت في الواقع المجرب وعند أصحاب الاختصاص صحته وأهميته.

PDF Complete
Your complimentary use period has ended. Thank you for using PDF Complete.
Click Here to upgrade to Unlimited Pages and Expanded Features

قال ابن القيم رحمه الله في كتابه (زاد المعاد إلى هدي خير ال
كطب الأطباء، فإن طب النبي صلى الله عليه وسلم متيقن قط
وكمال العقل، وطب غيره أكثره حدسي وظنون وتجارب، ولا ينكر عدم انتفاع كثير من المرضى بطب النبوة، فإنه إنما ينتفع به من تلقاه بالقبول واعتقاد الشفاء به، وكمالُ التلقي له بالإيمان والإذعان، فهذا القرآن الذي هو شفاء لما في الصدور، إن لم يتلق هذا التلقي لم يحصل به شفاء الصدور من أدوائه، بل لا يزيد المنافقين إلا رجساً إلى رجسهم ومرضاً إلى مرضهم([1]).

- مجالات الطب الاسلامي:

- مجال الطب الوقائي: فقد كان للصحة البدنية حظ وافر من هدي النبي صلى الله عليه وسلم، فمن ذلك أنه أمر باستعمال الماء في الوضوء أو الغسل عند كل إرادة صلاة، وفي مواطن عديدة، كما أمر بتقليم الأظافر ونتف الإبط والعانة، وغسل اليدين عند القيام من النوم وعند الطعام، وأمر باستعمال السواك دائماً لتنظيف الفم، وأمر بتعهد الشعر بالقص والتسريح، وأمر بنظافة السبيلين بعد كل تبول أو تغوط... كما أنه عليه الصلاة والسلام في مجال الطب الوقائي أمرنا بتحريك أعضائنا في كل صلاة، وذلك نوع من الرياضة البدنية إن لم يكن مقصوداً لذاته فهو حاصل على كل حال، و جاءنا عليه الصلاة والسلام بحل الطيبات من الطعام وتحريم الخبائث منها كالميتة والخنزير والدم، وأمرنا بالاعتدال في الطعام والشراب وعدم الإسراف فيهما. كما أن الصيام كعبادة أصلاً، إلا أنه يتعلق من جوانب كثيرة بالوقاية من الأمراض الجسمية، وتحصّل كثيراً من الفوائد الصحية.

وحرم علينا الخمر التي لا تعد ولا تحصى أضرارها الصحية، وغير الصحية وألحق بها كل ما أسكر كالحشيش والمخدرات، ورأى كثير من العلماء أن التبغ لاحق بها لضرره ، كما أمرنا عليه الصلاة والسلام بالختان الذي هو سبب من أسباب الاحتراز عن الإصابة بالأمراض، كما أمرنا بالزواج ولا تخفى منافعه الصحية على البدن، كما نهانا عن مخالطة المرأة الحائض أوالنفساء، وفي ذلك مافيه من الفوائد الصحية، وحرم علينا الزنا واللواط والاستمناء وهي أشياء أشد ما تكون أضراراً بالصحة.

وأمرنا أيضا بالابتعاد عن الأمراض المعدية، مع اعتقاد أنها لاتصيب إلا بإذن الله، فإذا وقع الطاعون في بلد فلا ندخله وإذا كنا فيه فلا نخرج منه، حتى لا تنتقل إلينا العدوى أو ننقلها، وأمر بعزل المصابين (وفر من المجذوم فرارك من الأسد) (رواه الشيخان عن أبي هريرة)، واهتم بالصحة النفسية والقلبية اهتماماً زائداً ما عليه مزيد.

- مجال الطب العلاجي: إن التداوي هو أمر من الدين ، فقد دعا إليه وأمر به الرسول في حديثه (تداووا عباد الله فإن الله لم يضع داء إلا وضع معه شفاء إلا الهرم)(رواه أحمد والأربعة وابن حبان والحاكم عن أسماء بنت شريك)، إلا أنه حرم علينا التداوي بالمحرمات كالخمر(إن الله لم يجعل شفاءكم فيما حرم عليكم) (رواه البخاري تعليقا وصححه ابن حجر)، كما رأى كثير من العلماء حل الانتفاع بأعضاء الموتى لعلاج المرضى الأحياء.

ومن جانب آخر نرى ـ في مجال الطب العلاجي ـ أن النبي صلى الله عليه وسلم ذكر وصفات علاجية لبعض الأمراض، كالعسل وهو غذاء قيم ودواء نافع { يخرج من بطونها شراب مختلف ألوانه فيه شفاء للناس } (سورة النحل/69) وقال عليه السلام: (عليكم بالشفاءين: العسل والقرآن)(رواه ابن ماجه والحاكم وصححه السيوطي)، كما ذكر في الأحاديث الاستشفاء بالحبة السوداء وماء الكمأة والحجامة والكي والسناء والسَّنُّوت والقسط الهندي وألبان الإبل وأبوالها وتبريد الماء للحمى والإثمد وغير ذلك.

ونرى كذلك في مجال الطب العلاجي أن الطب النبوي اعتنى عناية فائقة بالعلاج الروحي المعتمد على الاستشفاء بالقرآن الكريم والأدعية الصالحة والاستغاثة بالله سبحانه { وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين }(الإسراء/82) ونهانا عن الاستشفاء بالسحر أو اللجوء إلى الدجالين أو الخوف من الجن ونحو ذلك.

ولقد ورد في آيات مختلفة وأحاديث مواضيع طبية بحتة، سبق فيها الطب الاسلامي الطب العالمي كافة بالتناول الموضوعي الصادق، كالحديث عن خلق الأجنة في بطون الأمهات، من نطفة إلى علقة فمضغة

[1] - ابن قيّم الجوزية : الطبّ النبوي، تحقيق عبد الغني عبد الخالق، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، 1957، ص :136

PDF Complete
Your complimentary use period has ended. Thank you for using PDF Complete.
Click Here to upgrade to Unlimited Pages and Expanded Features

ثم خلق آخر، ومقدار البقاء في كل طور: { ولقد خلقنا الإنسان
مكين، ثم خلقنا النطفة علقة، فخلقنا العلقة مضغة، فخلقنا المض
خلقاً آخر، فتبارك الله أحسن الخالقين }(المؤمنون /14) وقوله عليه السلام : "إن احدكم ليجمع خلقه في بطن أمه أربعين يوماً نطفة، ثم يكون علقة مثل ذلك، ثم يكون مضغة مثل، ذلك ثم يرسل إليه ملك فينفخ فيه الروح...الخ "(رواه مسلم وغيره عن ابن مسعود) وكالحديث عن الأرحام وظلماتها الثلاث، والحديث عن خلق الذكر أو الأنثى، والحديث عن وراثة الصفات عن الوالدين، والحديث عن عدة المرأة المطلقة أو غيرها للتأكد من خلو الرحم.

وهناك أحاديث وأحكام شرعية متعلقة بممارسة الطب وضرورة الخبرة، حتى يرفع عن الطبيب ضمان حياة أو سلامة المريض، وضرورة احترام الطب للأحكام الشرعية أثناء المزاولة لهذه المهنة، والحديث عن تطبيب الرجل للمرأة والعكس، والحديث عن أجرة الطبيب وغير ذلك.

الفصل الرابع

الطب البديل

PDF Complete
Your complimentary use period has ended. Thank you for using PDF Complete.
Click Here to upgrade to Unlimited Pages and Expanded Features

- مقدمة :

إن قصة الطب البديل غير واضحة بشكلها الحقيقي لمتتبعي أخبار الصحة, وهذا ما تشير إليه الكثير من المقالات و الدراسات الصادرة عن هواة أو ممارسي الطب البديل، التي تدل على وجود غموض واختلاط في الأمور قد تضلل القارىء وتعطيه صورة أخرى ومختلفة عن هذا الطب ، وقد اختلفت هذه الدراسات حولَ هذا النمط من العلاج بيْن مؤيِّدٍ له معترف بفعاليته، ومعارض يتَّهمه بالقصور والتخلُّف عن مواكبةِ الأبحاث والاكتشافات العِلميَّة الحديثة، في الوقت الذي لجأ إليه الكثيرون بعد أن أعياهم التنقُّل بين الأطباء. أمَّا خلفية تسميته بالطبِّ البديل، فربَّما تكون من البلاد الغربية؛ حيث يعتبرونه بديلاً تامًّا للطبِّ الحديث، بينما التسمية الحقيقية هي كلمة: الطب التكميلي (Complimentary Medicine)، بحيث يكون جنبًا إلى جنب مع وسائل الطبِّ الحديث في علاج المرضى، وبهذا تبعد الفكرةَ العدائية التي قد تظهر من مسمَّى الطبِّ البديل.

- تعريف الطب البديل :

الطب البديل هو عبارة عن مجموعة من المناهج الصحية المختلفة ، كل منهج منها يعتبر علم طبي قائم بذاته ، يعتمد على التشخيص الدقيق من خلال الفحص الشامل للمريض مراعية الحالة النفسية والعقلية إضافة للحالة الجسدية, مطبقة المبادئ العلاجية لكل منها, وقد تستخدم الماء والكهرباء والأشعة والليزر والحرارة والمساج والمعالجة اليدوية والأعشاب والزيوت الطبية, و الأدوية الطبيعية.

ويمكن تعريف الطب البديل بأنه كل طريقة علاجية لا تستخدم العقاقير والأدوية في علاج الأمراض ، والطب البديل هو مسمّى حديث يطلق على الطرق المستعملة حالياً في الغرب غير انه معروف منذ القدم في جميع المجتمعات ومنها المجتمعات العربية ، فالأعشاب والحجامة والكي كلها يمكن إدراجها ضمن مسمّى الطب البديل ، وكذلك في الصين فقد انتشر استخدام الإبر الصينية والحجامة والأعشاب على نطاق واسع.

فالطب البديل إذن هو مجموعة من العلوم والمدارس الطبية التي مر عليها آلاف السنين من الخبرات والتجارب الناجحة مستخدمة كل ما هو طبيعي للتحكم والسيطرة على الأمراض مثل الأعشاب والنباتات والإبر الصينية والتدليك والحجامة والصوم وغير ذلك فهو (تطبيب بدون عقاقير كيميائية)، وتطلق كلمة (Alternative Medicine) عندما يستخدم الطب البديل بدلا من الطب الغربي في علاج احد الأمراض وهناك من يعرف الطب البديل انه البديل لشئ آخر موجود ألا وهو الطب الغربي.

يلاحظ من خلال التعريف أن الطب البديل له مفهوم واسع وغير مخصص لعلم معين وكثير من اختصاصي الطب البديل يحتجون على الاسم والأفضل أن يدعى الطب الأصيل، نفهم من ذلك أن الطب البديل ينظر للمريض نظرة شمولية و كاملة فلا يفصل ما بين الأعراض الجسدية أو العقلية أو النفسية للمريض فكل قسم له أهميته أثناء علاج الحالة فقد يكون مفتاح الحل في مزاج المريض وتكون سبب العلة ناتجة عن شيء بعيد جدا عن حالته الجسدية والأعراض التي يشتكي منها وبسببها زار

PDF Complete
Your complimentary use period has ended. Thank you for using PDF Complete.
Click Here to upgrade to Unlimited Pages and Expanded Features

المعالج.هذا ما أصبح ينادي به الغرب الآن وهو العلاج الشمو
يفسر المرض والمريض في الإسلام بطريقه عصريه فالمرض
شبة وشك أو شهوة وغيّ, أما مرض الأبدان فحدد له قواعد لعلاجه من حفظ الصحة والابتعاد عن المؤذي وأخيرا استفراغ المواد الفاسدة.

- أسس و قواعد الطب البديل :

تتمحور فلسفة هذا الطب على التعامل مع المريض كوحدة واحدة ولا يتعاملون مع الجزء المصاب فقط، فعقل الإنسان وجسمه وروحه منظومة واحدة متكاملة يؤثر كل واحد منهما على الآخر وهم بذلك ينشطون جهاز الشفاء الذاتي الموجود في أجسامنا كي يصلح أي خلل موجود والتغلب على أي عطب أو مرض، فثمة رابطًا بين جسم الإنسان وفكره وروحه واتصاله بالعالم الخارجي، أو بالأحرى مع محيطه، والجسم يعطي إشارات في حال حصول خلل معين فيه، وذلك قبل أن تتطور حال المرض بوقت طويل. ويمكن رصد هذا الخلل في صوت المريض ومشاعره، وحتى في رائحة جسمه. فالكل موجود في الجزء.و على هذا الأساس يمكن اعتبار المرض نتيجة لعدم توازن بين الأعضاء الخمسة الأساسية في الجسم: الرئتان، الكبد، الطحال، القلب والكليتان. لذا يركز الطب البديل اهتمامه على رفع الطاقة في جسم الإنسان وتوجيهها نحو تحقيق الشفاء، متيحًا للمناعة الداخلية القضاء على المرض بأسلوبها الخاص([1]). والطاقة الحيوية بهذا المعنى، هي محور جسم الإنسان: إذا انخفضت مَرُضَ هذا الجسم؛ وإذا ارتفعت تماثل إلى الشفاء.

و يمكن تلخيص أهم قواعده في ما يلي :

- التداخل بين العقل والجسم : ويستكشف قدرة العقل في التأثير وربما في أشفاء الجسم، وتشير الدراسات أن الحالة العقلية ذات تأثير شديد على جهاز المناعة وقد أثارت هذه الدراسات اهتماما" في دور العقل في أسباب ومسار المرض .
- التطبيقات الكهرومغناطيسية الحيوية : وتتضمن الاستفادة من استجابة الجسم للموجات اللاحرارية وغير المتأينة ومن استعمالاتها الحالية أشفاء العظم, تحفيز العصب , التئام الجروح , معالجة التهاب المفاصل وتحفيز جهاز المناعة .
- النظم البديلة للممارسة الطبية ومنها الوخز بالإبر والايورفدك والهوميوباثي(المعالجة المثلية) والعلاج بالطبيعة ويتضمن كل منها نظرية خاصة به للصحة والمرض وبرنامج تدريبي للممارسين الجدد وتعليمات لتنظيم الممارسة .
- المعالجة باللمس والتحريك باليد (الاشفاء باليد) يعتقد أصحاب هذه الممارسة بوجود تكامل هيكلي بين مختلف أجزاء الجسم وان حدوث خلل في آي جزء سيؤدي إلى إرباك وظائف أجزاء أخرى دون ان تكون متصلة معها حيث يتم استعادة الصحة بتحريك العظام , الأنسجة الرخوة والأربطة وبواسطة المساج .
- المعالجات الدوائية والحيوية وتتم باستخدام ادوية ولقاحات لا تستخدم في الطب التقليدي حاليا كاستخدام الانتي نيوبلاستين (يستخلص من الدم والبول الإنساني) في الايدز واستخدام عسل النحل لعلاج التهاب المفاصل واستخدام الاسكادورلعلاج الأورام.
- العلاج بالأعشاب أغلب المجتمعات لديها تقاليد متوارثة في العلاج بالأعشاب وهناك أدوية مستخدمة حاليا في الطب الغربي مستخلصة من الأعشاب مثل دواء الديجيتالس المستخدم في علاج عجز القلب والمستخلص من عشبة كف الثعلب([2]) ، و تشير منظمة الصحة العالمية إلى أن حوالي(80%) من سكان المعمورة يستخدمون الأعشاب في شأن من شؤون الرعاية الصحية الأولية(2).

- ماهية المرض في الطب البديل :

1- كارولين غرين، بين الطب الحديث و الطب البديل – ترجمة و تحقيق مركز التعريب و الترجمة، الطبعة الأولى، الدار العربية للعلوم سنة 2000[1]، ص : 136

1- توفيق الحاج يحيى، النبات و الطب البديل الطبعة الأولى ،الدار العربية للعلوم،1424 ه – 2003 م ، ص : 54

2--10/08/03- http://groups.google.com/group/diabetes-discusstions

PDF Complete
Your complimentary use period has ended. Thank you for using PDF Complete.
Click Here to upgrade to Unlimited Pages and Expanded Features

إن الطب البديل يقدم مصطلح مريض على اسم المرض، أي فلان، بل يجب القول أن فلان لديه أعراض الحمى. ففي الطب ومن ثم يكون العلاج. والسبب يختلف باختلاف الأشخاص لنفس الاعراض وعليه يكون تشخيص المريض ومن ثم يتنوع العلاج، فمثلا شخصين مصابين بالحمى سبب الأول تعرضه لخوف شديد، والثاني لبرد، فكانت الأعراض وهي ارتفاع درجه الحرارة مع الأول كان هنالك رغبه بشرب الماء والثاني كان يعافه ولا يطيق النظر إليه وتبعا للسبب والأعراض اختلف الدواء فالأول اخذ علاج شامل لحالة الخوف لديه مع الحمى، والثاني اخذ شيء مضاد للبرودة ففي الطب الغربي يعطى مضاد للحمى ولا ينظر للسبب الذي أحدثها أو ينظر إليه بنظرة مختلفة، وقد لا يكون هو الأصل في إحداث الأعراض.

والمرض هو الخروج عن الاعتدال الذي يضر بالفعل إضرارا محسوسا وهو يكون على ثلاث مراحل الصحة بحيث لا يشكو الفرد من أي شيء، والمرض الذي يضر بالفعل وأخيرا هي الحالة من بين الاثنين والتي يعني منها الفرد من الأعراض بدون الأضرار بالفعل بشكل محسوس وتكون فحوصاته المخبرية سليمة, فالضد لا ينتقل لضده إلا في حالة متوسطه بينهما.

وهنالك عشرة أمور إن تم مدافعتها وحبسها أدت إلى المرض وهي الدم إذا هاج وعلاجه بالحجامة, والبول وحبسه يؤدي إلى الضرر بالكلى, والغائط وحبسه قدي يؤدي لسرطان القولون, والريح الذي قد يؤدي حبسها لمشاكل في الدم وزيادة الشوائب فيه, والقيء الذي يجب أن يخرج ما تجمع في المعدة من سموم, والعطاس لطرد الريح من الجسم, والنوم لراحة البدن, والجوع لطرد أنواع معينه من الأخلاط في الجسم وأهمها ما يتجمع في التكتلات الدهنية, والعطش فالماء يزيل ما علق بالكلية من رواسب الأملاح أو الحصى([1]).

وعليه يكون المرض إما بارد أو رطب أو حار أو يابس أو أن يكون مركب من الأربعة السابقة الذكر وعليه يكون العلاج بإعادة التوازن والاعتدال لما حدث من اختلال والعودة للصحة فالقاعدة الطبية تقول من أمكن علاجه بالغذاء لا يعدل عنه للدواء وما أمكن علاجه بالدواء المفرد لا يعدل إلى المركب. والدواء إن لم يجد شيء في البدن يعالجه فهو يأخذ من الصحة لذلك كانت هنالك توعيه كبيرة لصرف المضادات الحيوية ويرها من العلاجات لمجرد أن يخرج المريض بقائمه دواء تكلف كثيرا وهي نفس الوقت غير ذات جدوى في علاج الحالة.

- أسباب ظهورالطب البديل :

1- تزايد الإحباط من إنتشار الكثيرمن الأمراض الخطيرة والمعاصرة فبالرغم من تقدم الرعاية الصحية بصورة كبيرة في العصر الحديث إلا أن القلق من تزايد أعداد الوفيات من أمراض مثل السرطان والأمراض المزمنة وإنتشار أمراض جديدة أصبح يؤرق الكثير من الناس وبالنظر إلى المبالغ الهائلة التي تصرف على الأبحاث العلمية الحديثة نجد أنها لا تتساوى أبداً مع التطور المتواضع جداً في علاج المشاكل الصحة التي تأخذ الترتيب الأول من بين المشاكل التي تهدد حياة الناس.

ويلاحظ الناس أن التجارب تكاد تنحصر في تطوير الوسائل الكيمائية على شكل دواء أو أجهزة صناعية ولاتعطي إهتماماً يذكر للوسائل الطبيعية المتوفرة لدى كل شخص والأقل تكلفة لمواجهة هذه الكوارث الصحية .فحتى لو ظهر دواء أو جهاز جديد فإن العبء الإقتصادي على المستفيدين يكاد يقضي على النتائج التي قد تظهر من هذه العلاجات وبسبب هذه السلبيات أصبح خيار تجربة البدائل الصحية الأخرى هو مصدر الأمل المتبقي لدى المرضى ولدى الأشخاص الذين لا يريدون أن يقعوا ضحية لهذه الأمراض.

2- تزايد الدراسات التي توضح الأضرار الجانبية للأدوية الكيميائية وتحذر منها، فبين الفترة والأخرى تطالعنا بأخطار جديدة لم تكن معروفة في إستخدام العديد من الأدوية الكيميائية الحديثة وغالباً ما تكتشف هذه المخاطر بعدما تكون قد ظهرت المشاكل على بعض المستخدمين لهذه الأدوية.

هذا بالإضافة أن العديد من الأدوية التي تستخدم لعلاج المشاكل الصحية تحمل أصلاً في طياتها الكثير

[1]- نفس المصدر، ص: 141

PDF Complete
Your complimentary use period has ended. Thank you for using PDF Complete.
Click Here to upgrade to Unlimited Pages and Expanded Features

من الآثار الجانبية الضارة المعروفة والتي يتم تحذير المريض
إستخدامها لكونها الحل الطبي الوحيد المتوفر لمشكلته الصحي
الدواء يكاد لا يذكر في الدول النامية والتي تشمل كل دول الوطن العربي بسبب الإهمال واللامبالاة الناتجة من ضعف آليات المحاسبة القانونية على الأخطاء الطبية والتجاوزات التي من هذا القبيل.
أما في الغرب يحرص مقدموا الرعاية الصحية بشكل كبير على توضيح هذه المخاطر الموجودة في الأدوية بل وأخذ الإقرارات الموقعة منهم للتأكيد على إستيعاب المريض للمحاذير التي تم إعلامه بها ولحماية انفسهم من الملاحقات القضائية فيما بعد، وكان الأحرى بجميع مقدمي الرعاية الصحية الحديثة والتقليدية في الشرق أو الغرب ولا سيما من أصحاب الضمير والمبادئ الإنسانية التي نادت بها جميع الشرائع أن يحرصوا على أداء الأمانة بوجهها الصحيح بغض النظر عن وجود رادع قانوني أو عدمه.

إنتشار مثل هذه المخاطر كما تقدم جعل الناس تبحث عن حلول طبيعية خالية من المشاكل التي توجد في المركبات الكيميائية الضارة وفي الوسائل العلاجية الصناعية التي عادة ما تصاحبها اعراض جانبية ضارة.

3- تنامي القلق من الأخطاء الطبية، ففي دراسة مثيرة، أظهرت نتائج إحصاء في أمريكا أن 75% من المواطنين الأمريكيين يصابوا بالهلع من التقارير التي تتحدث عن أخطاء الأطباء التي تؤدي إلى نتائج سلبية لدى المرضى أو إلى الوفاة وبالتالي نستطيع أن نتوقع تخوفهم من تعرضهم لمثل هذه الأخطاء حيث أن 57% من العينة التي تم إجراء الإستفتاء عليها أظهرت التخوف من تزايد المشكلة الصحية لديها بعد إدخالهم إلى المستشفى من أجل العلاج، بينما يرى 44% منهم أنه قد تعرض لمواقف سيئة مع العلاج الطبي مما يدعو الكثيرين إلى التوجه إلى وسائل تبدوا اقل خطورة.
وبسبب أن الكثير من مقدمي العلاج بالوسائل التقليدية يبدي إهتمام شخصي أكبر بالمريض وفي الأغلب يجد المريض أن علاقته مع المعالج أقرب وأكثر إطمئنان وليست مثل ما يحصل أحياناً عند تلقي العلاج في المستشفيات الحديثة من مجرد الإستماع للحظات للأعراض والبدء في بعض الأحيان بكتابة الدواء قبل أن ينتهي المريض من كلامه. لكنه يجد في الإهتمام الشخصي من مقدمي العلاج التقليدي ما يبعث على الإطمئنان بصورة أكبر ويكون هناك إرتياح عند ما يشعر أن المعالج قد استمع له بما يكفي وأصبح لديه التصور الذي يريد المريض أن يوصله للمعالج عن مشكلته ويتخلص المريض من هاجس التشخيص الخاطئ وبالتالي وصف الدواء الغير مناسب.

- أوجه الاختلاف بين الطب البديل والطب الغربي :

1- الطب البديل يستخدم فقط العلاجات والطرق الطبيعية الآمنة والمجربة منذ آلاف السنين على ملايين البشر لمعالجة الأمراض، مثل العلاج بالأعشاب والعلاج بالتغذية والعلاج بالإبر الصينية والعلاج بالحجامة، والعلاج بالماء والعلاج بالطين العلاجي والعلاج بالتدليك واليوجا والعلاج بالزيوت الطبيعية، والعلاج بالزهور والعلاج بالروائح والعلاج بالألوان والمغناطيس والاوستيوباثيك والكيروبراكتيك والعلاج بالصوم والماكروبيوتيك وغير ذلك من أنواع العلاج. بينما يعتمد الطب الغربي على ترسانة من الأدوية الكيميائية والإشعاعية والمخدرة بالإضافة للجراحات المختلفة.
2- يَرى الطب الغربي الجسمُ كنظام ميكانيكي (فالقلب مضخّة والكِلى مرشِح)، وإن ما يحدث من اضطراباتِ يُمْكِنُ أن تكون نتيجة عدم توازن لكمياء العضو المصاب ولذا فأفضل طريقة للمُعَالَجةِ تكون بالمواد الكيمياويةِ القويَّةِ. لذا يُركّزُ الطبّ الغربي على معالجة الأعراض بعلاجه لأجزاء معينة من الجسم حسب الأعراض الظاهرة على المريض بينما العلاج بالأنواع المختلفة للطب البديل، تعتبر جسم الإنسان يتألف من وحدة واحدة لا تتجزأ لذلك تعالج الجسم كله وليس جزأ منه عند حدوث أي مرض فالجسم البشرى في قواعد الطب البديل يمتلك طاقة علاجية كبيرة
تستطيع التغلب على كافة الأمراض الحادة والمزمنة.
وهى بذلك تعمل على تنشيط وزيادة وتحريك طاقة الجسم ومقدرته الكبيرة لكي يقوم الجسم بمعالجة نفسه بنفسه وتأخذ في اعتبارها تأثير البيئة والطبيعة حول الإنسان (رياح ومطر ورطوبة وبرد وحر وطريقة الحياة وطبيعة العمل والغذاء الذي يتناوله المرض وغيرها..) في إحداث المرض وتغيير

PDF Complete
Your complimentary use period has ended. Thank you for using PDF Complete.
Click Here to upgrade to Unlimited Pages and Expanded Features

وظائف الجسم الطبيعية وتسببها في الأمراض فالعلاجات ال
معا بدرجة تتجاوز بكثير الافتراضات السابقة.
3- لا يوجد في الطب البديل متخصصون في كل منطقة من الجسم مثل الطب الغربي الذي يوجد به متخصصون في الأمراض الباطنية والصدرية وأمراض الكبد وغير ذلك من التخصصات النافعة والمهمة والتي لاغني عنها. بينما المتخصص في الطب البديل هو المتخصص في العلاج بالأعشاب الطبية أو العلاج بالإبر الصينية أو العلاج بالماكروبيوتيك وغيرها ذلك.
4- ليس هناك أثار جانبية ضارة وخطيرة فى الطب البديل وإنما هي قليلة جداً مقارنة بالطب الغربي.
5-كلفة العلاج بالطب البديل أقل بكثير من الطب الغربي وهذا الأخير يضع عبئاً كبيراً على مستوى الأفراد أو الحكومات في ظل الارتفاع المتزايد لأسعار الدواء.
6- يُفضّلُ الطب الغربي المرضى أن يكونوا سلبيينَ ويَقْبلوا معالجتَهم بالأدوية بدون الكثير مِنْ الأسئلةِ، بينما يدفع الطب البديل المريض أن يكون إيجابياً ويحمله قسطاً كبير من مسؤولية وضعه الصحي بأن يجعله يفكر في طريقة معيشته وعاداته الغذائية وطريقة نومه وتعامله مع التكنولوجيا الحديثة من كمبيوتر وجوال وتليفزيون وميكروويف وحتى أواني إعداد الطعام فالمريض في الطب الغربي متلقي للعلاج بينما في الطب البديل لمريض مشارك في العلاج.
7-الطبّ الغربي مُفَضَّلُ في معالجةِ حالاتِ الطوارئ والجراحات بينما يَبْرعُ الطبّ البديلَ في معالجةِ الأمراض المُزمنة، بالرغم من أن المعالجة المثليَّةِ والمساج والعلاج بالأعشاب الطبية يُمْكِنُ أيضاً أنْ تكون فعّالة جداً في الحالات الطارئة.

- الطب البديل وأمراض العصر :

نظرة الطب البديل لكل حالة يكون منفرد والقاعدة تقول أن كان المرض قابل للشفاء فلا بد من نجاح العلاج فلكل داء دواء عرفه من عرفه وجهلة من جهله.فالعقم إن كان على المستوى الخلوي فلا علاج له وان كان هنالك موت لخلايا الخصيتين أو المبيضين فلا علاج له أما غير ذلك فهنالك علاجات مختلفة من ابر عشبية وأدوية سائلة ونتائجه ممتازة في كثير من الحالات.
أما الروماتزم وألم أسفل الظهر وألم العضلات والركب فالطب البديل يعطي نتائج أفضل بكثير من مسكنات الألم حيث يعالج الحالة من مسبباتها ولا يعود المريض بحاجه للدواء بعد شفائه.
أما السرطانات فهنالك تخصص كامل في الطب التجانسي كمثال في علاجه ونتائج الأبحاث والعلاجات مشجعه جدا وتعتمد النتائج على عمر المريض ومدى انتشار المرض وهل تعرض للعلاج الكيميائي والأشعه أم لا وهكذا، و لقد صنفت منظمة الصحة العالمية حوالي ثماني و أربعون مرض وعرض يعالج بكفائه عالية بأدويه الطب البديل وهذا يشمل أكثر الأمراض انتشارا بين البشر(1).
و من قد بدأ الاهتمام بالطب البديل بأنواعه المختلفة منذ الستينات من القرن الماضي، وذلك عقب الحرب الأمريكية الفيتنامية وبداية انفتاح الصين ودول آسيا الشرقية على العالم الغربي. ومنذ أكثر من 25 سنة مضت حدث اهتمام زائد بالطب البديل في أمريكا وكندا وألمانيا وفرنسا وإنجلترا وأستراليا وروسيا وغيرها، وقد أنشأت الكليات والمعاهد والمدارس المتخصصة لتدريس هذا الطب.
وإذا نظرنا إلى دول مثل الصين والهند واللتان يبلغ عدد سكانهما أكثر من مليارين من البشر، نجد أن معظم سكان هذه البلاد يعتمدوا اعتمادا كليا على الطب البديل في العلاج من معظم الأمراض وقد انشأوا العديد من الكليات والمعاهد المتخصصة لتخريج أطباء الطب البديل وأنشأت الكثير من العيادات والمستشفيات الكبيرة لعلاج المرضى بأنواع الطب البديل المختلفة، لقد حدث اهتمام متزايد من قبل المعاهد والكليات والمستشفيات التعليمية المرموقة في أوروبا وأمريكا للمزج بين المدرستين في الطب (مدرسة الطب البديل ومدرسة الطب الغربي الحديث).
في ألمانيا حدثت ثورة كبيرة على الأدوية الكيمائية والعودة مرة أخرى للأدوية العشبية وازدادت أنواعها على أكثر من 300 نوع. وقد وجد أن 10 % من الوصفات الطبية التي توصف للمرضى

1- المصدر نفسه
2- http://groups.google.com/group/hijama-cupping10/07/11

PDF Complete
Your complimentary use period has ended. Thank you for using PDF Complete.
Click Here to upgrade to Unlimited Pages and Expanded Features

تحتوى على أعشاب طبية، ويوجد للإبر الصينية (الوخز والـ
125 دولة في العالم(2).

- فروع الطب البديل :

-الوخز بالإبر(Acupuncture) :

الوخز بالإبر الصينية هو أحد فروع الطب الصينى التقليدى، وكانت نشأته فى الصين لأكثر من خمس مئة عاماً مضت .ويعتمد علاج الوخز بالإبر الصينية على أن الكائنات الحية يوجد لديها طاقة حيوية تسمى (Qi) والتى تدور فى خطوط الطاقة غير المرئية التى توجد بالجسم ويصل عددها إلى اثني عشرة خطا، وتُعرف باسم(Meridians) .

وعلاج الوخز بالإبر يستخدم فيه أبر رفيعة معقمة تستخدم لمرة واحدة فقط، ومبدأ هذا الأسلوب يعتمد على التأثير المباشر على مواقع معينة من الجسم، سواء كان بواسطة وخز الإبر أم بطرق أخرى لعلاج الأمراض الناتجة عن خلل وظيفي في الجسم، وذلك بإعادة التوازن الطبيعي له بدون استخدام أي موادّ كمياوية، وهذه المواقع لها أرقام وأسماء وأماكن محددة، بل ولها تأثير ومفعول معيَّن، والعبرة في نجاح هذا النوع من العلاج في اختيار مجموعة مناسبة من المواقع بحيث تعطي أفضل نتائج .

ويتم العلاج عن طريق التأثير على الأعصاب التي تمثل وسيلة للتحكم بمختلف وظائف الأعضاء لاتصالها بالجهاز العصبي المركزي. وأيضًا عن طريق حث الجسم على إفراز مواد كمياوية تقوم بوظائف مهمة وأساسية مثل الهرمونات أو القضاء على الالتهابات أو الآلام وغير ذلك، وكذلك عن طريق التأثير على الأوعية الدموية في أي مكان في الجسم وما ينتج عن ذلك من إيجابيات كتوفير احتياجات الخلايا من الطاقة والعناصر المهمة الأخرى، ويمكن أيضًا العلاج بهذا الأسلوب المباشرعلى العضلات الإرادية منها واللاإرادية، وما لذلك من ردود فعل مختلف الوظائف في الجسم .

والوخز بالإبر الصينية يُسقِط الكون على الإنسان. فكل ما يوجد في الكون يوجد ما يقابله في الإنسان. وهذه الطريقة لا تقارب الإنسان من زاوية تشريحية، بل تدرس بالأحرى حركة طاقاته، التحولات التي تتم داخله، وظائف الحياة، تلك الوظائف التي تؤمن استمرارها ونقلها، كما تدرس النظم الحيوية أو المسالك(méridiens) ، وهي قنوات الطاقة التي تتصادى فيها كل وظائف الجسم. وتتمركز هذه الوظائف في نقاط تشكل وسيلة تنظيمها. وإن اضطراب أحد هذه المعايير يؤدي إلى المرض، الذي يمكن أن يكون كمياً (زيادة أو عوز) أو نوعياً: دخول إحدى الطاقات اللامنظمة إلى المجرى (الطاقة الشاذة). هذه الطاقة خارجية (هواء، حرارة، نار، رطوبة، جفاف، برودة) أو داخلية (من طبيعة غذائية أو نفسية).

ويستخدم اليوم الوخز بالإبر الصينية لتسكين الآلام والتشنجات على نطاق واسع، مما يستفاد منه في معالجة الالتهابات الحادة والمزمنة في نطاق الأنف والأذن والحنجرة والجهاز الهضمي والجهاز البولي، إضافة إلى فائدته في أمراض التحسس والاضطرابات العصبية. كما ثبت نجوعه في عمليات التخدير تحضيراً للعمل الجراحي، وهي طريقة تستعمل في الشرق الأقصى خاصة.

وفي فرنسا يتم اليوم تعليم الوخز بالإبر الصينية في كليات الطب في ليل وبوردو ومرسيليا ومراكز الاستشفاء الجامعية في كريتيلْ وبوبينيي وبعض المعاهد الخاصة. وفي عام 1982 كان عدد الممارسين للوخز بالإبر الصينية 8700 شخص كما أن عدد الدارسين وصل إلى 5400 طالب([1]).

- الطب الروحاني :

قد يبدو للوهلة الأولى أن الحديث حول مثل هذا الموضوع أمر غريب بعض الشيء، خاصة أننا نعيش في العقد الأول من القرن الحادي والعشرين، حيث التطور العلمي والتقني العالي، وانفجار المعلومات غير المسبوق في تاريخ البشرية. لكن سرعان ما يتبدد استغرابنا عندما نعلم أن هذا النوع من الطب سائد

[1]- سليمان عزمي باشا، على هامش الطب، الجزء الثالث، الطبعة الأولى، مكتبة النهضة المصرية سنة 1949، ص : 121

PDF Complete
Your complimentary use period has ended. Thank you for using PDF Complete.
Click Here to upgrade to Unlimited Pages and Expanded Features

في أكثر الدول تقدما، ليس في مجال الطب وتقنياته فحسب، بـ
المعرفة.وتعود فلسفة "الطب الروحاني" المعاصر إلى المفكر
بالنشأة، رودلف شتاينر (1861-1925م) الذي لمع صيته بعد تحريره لأعمال غوته العلمية في أواخر القرن التاسع عشر. وما إن دخل القرن العشرون حتى بدأت مبادئ وأفكار شتاينر تتطور بطريقة قواعدية سريعة وممنهجة، خاصة في مجالي البحث العقلي والنفسي.

والطب الروحاني عبارة عن اتجاه طبي شمولي تكميلي (Complementary) يبحث في أسباب الصحة أكثر من بحثه في أسباب المرض، إذ يؤمن أصحاب هذا الاتجاه بأن عوامل الصحة كامنة في الإنسان المريض ذاته وفي محيطه البيئي، وبأن مواجهة المرض ومحاصرته ماديا لا تكفي للتخلص من المرض وتحقيق الشفاء والصحة.

كما يفترض القائمون على هذا الاتجاه الطبي المعاصر أن إثارة الإنسان ماديا ومعنويا لتجاوز تلك العوامل المسببة للحالة المرضية هو ما يقود بالفعل إلى الشفاء والتحرر من المرض، تحت بعض الشروط والظروف -خاصة عندما لا يكون بالإمكان دعم مناعة الجسم لمواجهة ومقاومة المرض- يصبح من الضرورة العمل على تجاوز أعراض الحالة المرضية من خلال اللجوء إلى العديد من الوسائل والأساليب الموضوعية والذاتية، كاللجوء إلى الطب التقليدي ووسائله وأساليبه المختلفة أو اللجوء إلى الجراحة المعهودة إذا تطلب الأمر. وبعد الانتهاء من ذلك يأتي دور الطب الروحاني ليرمم ويتمم عمل الطب التقليدي والجراحة، وهو ما يجعل منه امتدادا للطب التقليدي، ومكملا له لا بديلا عنه.

وكطب يؤمن أصحابه بالتعامل مع العوامل المتعددة سواء كانت أسبابا علاجية أو أسبابا مرضية ذات طبيعة نفسية واجتماعية ومعيشية وكيميائية وفيزيائية وغير ذلك، فإن الأمر يحتم على أصحابه استخدام العديد من الإمكانات والخيارات المتعددة ذات الصور والأشكال المختلفة عند مواجهة الحالات المرضية. ومن تلك الخيارات اللجوء إلى وسائل وأساليب العلاج النفسي والاجتماعي والاقتصادي والكيميائي والفيزيائي على اختلافها، وأحيانا اللجوء إلى خيار علاج المريض بما هو مسبب للمرض، وهو ما يعرف طبيا بطريقة "الهوميوباثي"، وهو نهج طبي متأصل في كل من الهند والصين والعديد من البلدان الأوروبية وعلى رأسها سويسرا وألمانيا الاتحادية.

وعندما يكون الخيار نفسيا أو اجتماعيا يدخل في ذلك خيار المعالجات الدينية القائمة على صور وأشكال العبادة المختلفة، فتوفير غرف خاصة للعبادة وتوفير ما قد يحتاج إليه المرضى وزوارهم من رموز تتعلق بخصوصيات نمط صلواتهم وشعائرهم التعبدية، يساعد المرضى على تجاوز محنتهم المرضية.

كما أن المجال يبقى مفتوحا لمن يريد أن يعبر عن نفسه من خلال الأساليب الفنية المختلفة، ومن خلال كتابة السير الذاتية المتعلقة بالمريض ومسيرته الحياتية، وكل ما قد يساعده عادة في إعادة رسم صورته وشخصيته ومكانته كما يتمنى لنفسه ويحب ويريد، وهو ما يؤدي بدوره إلى حالة من النمو والارتقاء في عالم الذات والمحيط، و هذا لا يعني أبدا أنه باب مفتوح على مصراعيه لكل من يرغب بالولوج فيه ويدعي أنه قادر على التشخيص والعلاج وتحقيق الشفاء للناس، دون تعليم أو تدريب أو تأهيل.وإنما يتطلب الأمر أولا التخصص في مجال ما من مجالات الطب التقليدي، أي الحصول على شهادة في الطب، ثم التخصص والاهتمام في أي من مجالات واهتمامات "الطب الروحاني" ووسائله وأساليبه في التشخيص والتطبيب والعلاج.

- **الطب التجانسي** (homeopathy):

يرتكز الطب التجانسي على مساعدة الجسم ليعالج نفسه بنفسه، فيداوي الداء بمحلول من عشبة أو مادة طبيعية مخفَّفة جدًا تحرِّض العوارض نفسها التي يعانيها المريض في حال استُخدِمَت بشكل مركَّز. يعود اكتشاف هذا الطب إلى القرن الثامن عشر على يد الطبيب الألماني صاموئيل هاهنمان، الذي كان يعيش في منطقة تكثر فيها المناجم؛ وقد شعر بعجز عن مداواة المرضى، خصوصًا أن الطب آنذاك لم يكن متطورًا، فقرر اعتزال مهنته والانتقال إلى ترجمة الكتب العلمية. في هذه الأثناء حصل على كتاب للصيدلي وليم كوليم عن علاج مرض الملاريا بالكينا، فقرر أن يطبق العلاج على نفسه، وصار يدوِّن كلَّ ما يشعر به بعد تناوُل عشبة الكينا. ولاحظ أنه بعد انقضاء فترة معينة، بدأ يشعر بعوارض الملاريا. فسجَّل اكتشافه الأول الذي يقول إن أية مادة طبيعية تتمتع بهيكليَّة معينة تعمل على الشفاء من مرض

PDF Complete
Your complimentary use period has ended. Thank you for using PDF Complete.
Click Here to upgrade to Unlimited Pages and Expanded Features

معين؛ ولكنها تتسبَّب في عوارض المرض نفسه بعد تناولها
أن سمى هاهنمان اكتشافه هذا بـ"نظرية التشابه. غير أن ها
أعاد اكتشافه، لأنه كان موجودًا قبل ألفي عام. ويُعتبَر أبقراط مكتشفه الاول([1])، إذ سبق ان قال بان المرض اما أن يُعالَج بمثله أو بضدِّه، علمًا أن الطب العربي اعتمد في أسُسه على الطب التماثلي الذي شكَّل المرجعية في أعمال ابن سينا.

ولا تختلف عقاقير الطب التجانسي عن تلك المستخدَمة في الطب العادي. فكلاهما مستخرج من نباتات ومعادن وأملاح ومواد حيوانية. غير أن الاختلاف يكمن في طريقة التحضير وطريقة تناول الدواء، وليس كميته. وتحضير الدواء يرتكز على تخفيف المادة بالماء بنسبة واحد في المئة، وصولاً إلى تخفيفه أكثر من ثلاثين مرة، على أن ترافق كلَّ عمليةِ تخفيفٍ عمليةُ خلط وخضٍّ بآلة خاصة لإعطائه قوة؛ ذلك أن العلاج يكون على مستوى ذبذبات المادة المخلوطة بالماء، وليس على مستوى المادة نفسها. ويُفترَض في العلاج أن يدلَّ الجسد إلى موضع الخطأ فيه كي يصلحه.

ويقوم على مبدأين هامين: مبدأ التشابه ومبدأ الاعتماد على الجرعات شديدة الصغر

- مبدأ التشابه (Ressemblance):

كل مادة قادرة على إثارة بعض الأعراض عند الإنسان السليم، قادرة على إزالة الأعراض المماثلة عند إنسان مريض.

- الاعتماد على الجرعات شديدة الصغر:

يتم بالمرور من الجرعات ذات الوزن إلى الجرعات الأخف وزناً بطريقة ترفع نسبياً مدى تأثير المادة مع تخفيض آثارها الجانبية. ويمكن اللجوء إلى التمديد بالماء من أجل ذلك.

- عملية التشخيص في الطب التجانسي :

يعتمد الطب التجانسي على فكرة أنه لا توجد أمراض وإنما يوجد مرضى، ويقول بيير داكو: "من المؤكد أن معظم الناس قد تقبلوا فكرة الإنسان الكلي حيث لم تعد التربة الشخصية تجريداً مبهماً بل واقعاً يومياً"([2]). ويتم التشخيص اعتماداً على دراسة التربة، أي طبيعة الشخص ومزاجه والسموم الموجودة في جسمه وبيئته، إضافة إلى دراسة العنصر المهاجم أي الجرثوم أو الفيروس أو الكَرَب وبعض الأعراض التي تسمى الأعراض المفاتيح التي تتعلق بتصرف المريض وطبعه. أما بالنسبة للعلاج، فيمكن استعمال دواء واحد أو عدة أدوية. ويُلجأ أحياناً للبزل على اعتبار أنه يسهل طرح بعض السموم والمفرزات. ويتألف الدواء عادة من مادة أساسية معدنية أو نباتية أو حيوانية، تضاف إلى مادة ممدَّدة سواء بالماء المقطر أو الكحول أو بودرة اللاكتوز أو السكاروز.

وتحضر الأدوية التجانسية بتمديد المادة الفعالة على عدة مراحل حتى نحصل على مستحضر تركيز هذه المادة فيه شديد الضآلة. وللعلاج تُستعمل بضع قطرات يحدَّد عددها وفقاً لسن المريض. وقد أكدت جمعية الأبحاث الألمانية النجوع النوعي للمستحضرات الطبية التجانسية، حيث قام عدد من الباحثين بوضع قطرات من مستحضر طبي تجانسي مستخرج من بعض الحبوب في طور الإنتاش في محلول كلوريد النحاس في طور التبلور، فلوحظ حدوث تبدل في شكل التبلّر، مما سمح بالاستنتاج أن لهذه المستحضرات الدوائية تأثيراً لاريب فيه.

يقوم الطبيب التجانسي، إذن، بتوزيع المقادير العلاجية بدقة على مراحل زمنية، وتستغرق العلاجات مدة طويلة تتخللها فترات من الراحة. ويمنع لمس الأدوية بالأصابع، ويحظر استعمال الأدوية المغايرة والمواد الدوائية التي قد تبطل مفعول العلاج، كما يكرس الطبيب التجانسي الكثير من الوقت للمريض، وبالتالي فالشفاء بحسب الطب التجانسي لا يقوم على إزالة العارض وإنما على إقامة التوازن الجسماني والعاطفي. بذلك تنقلب حالة عدم العافية إلى حالة موجبة للعافية، وتمنح العضوية شروطاً جوهرية للدفاع الذاتي. والطب الغربي يستطيع أن يرى ويقيس تغيرات معينة بنشاط الجسم الكيميائي والوظيفي عن طريق الفحوص أو الاختبارات الحديثة لهذه الحالات ولكن لا يستطيع أن يتعرف على هذه التغيرات لعدم

[1] - عبد الحسن فاعور، الطب التجانسي – الجزء الأول الطبعة الأولى، الدار العربية للعلوم : 1420ه 2000م ، ص : 19

[2] - المصدر نفسه ، ص : 47

PDF Complete
Your complimentary use period has ended. Thank you for using PDF Complete.
Click Here to upgrade to Unlimited Pages and Expanded Features

معرفته للأسباب فالأعراض بعيدة جدا وغير مرتبطة من و
عن الم الدورة انه وهم ومرتبط بالحالة النفسية والآن أم
،وبالتالي طرق علاجه.

و رغم أهمية هذا النوع من الطب، هناك إنكار بعض الأوساط الطبية لدور الطب التجانسي لا لشيء بل لعدم فهمهم لهذا النوع من الطب ولعدم قناعتهم بمادئه وبالتالي الحكم عليه بدون تجربته ولعلي لا اجافي الحقيقه ان قلت ان الطب التجانسي يحتاج الى دراسة ضعفي دراسة الطب الحديث لأنه يتعامل مع المريض لا المرض، يتعامل مع الانسان ككل احساس كان او جسد.

- طب الأعشاب (phytothèrapie) :

من أكثر فروع الطب البديل استخداماً هو طب الأعشاب أو الطب العشبى، فتتعدد أنواع الأعشاب واستخداماتها وأغراضها ... يوجد على سطح الكرة الأرضية أكثر من 750.000 نبات والقليل منها فقط تم إجراء الأبحاث عليه ودراستها ودائماً ما يتم التركيز على دراسة مكونات نشطة فى النبات بدلاً من دراسة الخواص الطبية لكل نبات .ونجد أن الطب الطبيعى ليس مثل العقاقير المصنعة فهى تأخذ وقت أطول لكى تأتى بفاعليته .

وعن أصل نشأة طب الأعشاب، ورد في كتاب ابقراط انه وحي الله والهام رباني، وقال آخرون ان أحد أبناء آدم وهو شيث عليهما السلام أظهر الطب وورثه عن آدم، وهناك من قال إنه رأى في المنام أدوية واستعملها فشفي، وفريق آخر قال بالتجربة[1]. كما قيل أن الهنود استخرجو هذا العلم، وقيل ان السحرة هم أصحاب السبق في ذلك، وقيل ان النبي ادريس عليه السلام هو الذي استخرج جميع الصناعات والفلسفة والطب.

وفي الحديث الذي رواه الحاكم (197/4) والطبراني (452/11) روي عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال (كان سليمان بن داود عليهما السلام اذا صلى رأى شجرة نابتة بين يديه فيسألها: ما اسمك؟ ما نفعك؟ فإن كانت لغرس غُرست وان كانت لدواء كُتبت[2]). أما بالنسبة لتعاقب الحضارات وتأثيرها في علم الطب فقد برع المصريون (الفراعنة) القدماء في هذا العلم ووصلوا موصلا عظيما، وحتى الان توجد بعض الأسرار الطبية التي لم تُحل، فقد وجدت برديات منحوتة على جدران المعابد وصف فيها زيت الحلبة وغيرها من العلاجات لأمراضهم. وجاءت بعد ذلك الحضارات الرومانية واليونانية وبرع اهلها في هذا الأمر واعتبر الطبيب ثيوفراستس أول من حذق في هذا المجال، وهو عالم نباتات وأعشاب وقد ظهر في عام 370 قبل الميلاد وكان تخصصه في عالم النباتات والأعشاب الطبية(2)، حيث ترك كتبا كثيرة في هذا المجال.

وفي هذه الحقبة التاريخيه التي نعيشها اليوم أصبح ينظر الى طب الأعشاب كطب تكميلي للطب الحديث، وتُجرى التحاليل على النباتات الطبية من حيث المواد الفعالة ونسبة السمية وكيفية استعمالها ونسبة الجرعة العلاجية، بل نستطيع ان نقول ان طب الأعشاب قطع شوطا كبيرا حيث أسهم بنسبة كبيرة في علاج كثير من الأمراض وأثبت جدارته في ذلك.

- تأثير الأعشاب الطبية على الجسم :

توجد الكثير من التأثيرات الطبية المهمة للأعشاب على الجسم سنذكر بعضها على سبيل المثال:

1- **التحفيز:** ويقصد به تحفيز جهاز المناعة بالإضافة إلى القوة الحيوية الطبيعية في الجسم لمقاومة المرض، ومثال على ذلك الثوم والبصل والحبة السوداء والزنجبيل والجنسنج.

2- **تنقية الدم**: وهذا يحتل أهمية فائقة عند المعالجين بالأعشاب حيث إن تنقية الدم ومعادلة الحامضية الفائضة يؤدى إلى انحسار أسباب المرض وبذلك تزول الأعراض ومثال على ذلك الهندباء البرية والأخناسيا والسفراس.

---

[1] - توفيق الحاج يحيى، النبات و الطب البديل الطبعة الأولى ،الدار العربية للعلوم،1424 ه – 2003 م ، ص :71

1- ابن قيّم الجوزية : الطبّ النبوي، تحقيق عبد الغني عبد الخالق، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، 1957، ص : 122

[2] - المصدر السابق ذكره، ص :88

PDF Complete
Your complimentary use period has ended. Thank you for using PDF Complete.
Click Here to upgrade to Unlimited Pages and Expanded Features

3- **التهدئة:** وتعطى عندما يكون المريض بحالة عصبية التغلب على المرض مثل: جذر الكمفرى، والبابونج.
4- **التنشيط:** ويقصد به بناء طاقة الجسم خصوصا للضعفاء والمرهقين وتستعمل غالبا في حالات الأمراض المزمنة والمنهكة أو في فترة النقاهة من الأمراض الحادة مثل الجانسنج والبقدونس والشطة.
5- **إدرار السوائل:** ويقصد به موازنة كميات السوائل في الجسم وبالخصوص الماء الذي يشكل معظمها، مثل شواشي الذرة وعنب الديب والبقدونس.
6- **التعريق:** ويقصد به إخراج العرق من مسامات الجلد لمعالجة الأمراض الجلدية ومعالجة البرد ومثال على ذلك الزنجبيل الفلفل، القرفة والبابونج.
7- **التقيؤ:** ويقصد به إخراج ما بالمعدة عند الإحساس بالغثيان أو في حالات التسمم ومثال على ذلك نبات اللوبيليا.
8- **إطلاق البطن:** ويقصد به إخراج الفضلات المجتمعة في الجهاز الهضمى لتفادي امتصاص السموم من الفضلات الموجودة في الأمعاء إلى الدم كما في حالات الإمساك ومثال على ذلك الصبار والكسكرة والسنامكى وعرق السوس.
9- **مضادات الميكروبات:** ويقصد بها مضادات البكتريا والفيروسات والفطريات وتستخدم للمساعدة على علاج الأمراض التي تسببها الميكروبات السابقة مثل الثوم والعرقسوس.

- الحجامة :

الحجامة وسيلة وقائية وعلاجيه قديمة ذات تاريخ عريق عرفتها العديد من المجتمعات والحضارات البشرية على مر العصور والأزمنة ما بين ظهور واندثار وهاهي تظهر وتعود لتهز عرش الطب الغربي بعد أكثر من 5000 عام. فبعد أن أثبت الطب الحديث والدراسات العلمية في دول مختلفة من العالم فعاليتها ونتائجها المذهلة في الوقائية وعلاج العديد من الأمراض الخطيرة في العالم التي وقف الطب الحديث عاجزاً عن علاجها بكل ما وصل إليه من تقدم وعلم .لذا أصبح تعلمها وممارستها يستهوي الكثيرين في كافة أنحاء العالم .

و مصطلح الحجامة مشتق من الفعل حجم ، أي مص (الوليد ثدي أمه).وبهذا يكون المعنى مص أو جذب الدم أو تسريبه من مكان معين إلى خارج الجسم (بغرض المداواة) وهذا المعنى الشائع، كما جاء في لسان العرب.وهناك اشتقاق آخر من الفعل حجم أي أعاد الشيء إلى نصابه أو إلى حجمه الطبيعي ومنعه من التقدم ، وبالتالي يكون المعنى وقف المرض ومنعه من التقدم .

وتعريف الحجامة طبياً هي أن يقوم الحجام بجذب الدم الفاسد والأخلاط بواسطة المحاجم الموضوعة على جلد المحتجم من الأوعية الدموية الدقيقة إلى مكان المحاجم الموجودة على الجلد. وبالتالي هي تحجيم الدم في الكم والكيف المناسب اللائق بالصحة مما يقتضي استخراجه إن كان فاسداً أو زائداً.

والحجامة تنقي الدم من الأخلاط الضارة التي هي عبارة عن كريات دم هرمة وضعيفه لا تستطيع القيام بعملها على الوجه المطلوب من امدام الجسم بالغذاء الكافي والدفاع عنه من الأمراض فبالحجامة تسحب هذه الأخلاط الضارة من كريات الدم الحمراء والبيضاء ليحل محلها كريات دم جديدة.

و هي ممارسة طبية قديمة، عرفها العديد من المجتمعات البشرية، من مصر القديمة غربًا التي عرفتها منذ عام 2200 ق.م مرورًا بالآشوريين عام 3300 ق.م، إلى الصين شرقًا، فالحجامة مع الإبر الصينية أهم ركائز الطب الصيني التقليدي حتى الآن، وقد عرف العرب القدماء الحجامة - ربما تأثرًا بالمجتمعات المحيطة - وجاء الإسلام فأقر الممارسة؛ فقد مارسها رسول الله (صلى الله عليه وسلم)، ففي الصحيحين أن النبي (صلى الله عليه وسلم) احتجم وأعطى الحجَّام أجره، كما أثنى الرسول (صلى الله عليه وسلم) على تلك الممارسة، فقال كما جاء في البخاري: "خير ما تداويتم به الحجامة".

- التفسير العلمي لعمل الحجامة :

إن ما يهم من الناحية الطبية هو حقيقة الآلية أو الكيفية التي تعمل بها الحجامة طبياً في علاج الأمراض، فمن خلال التفسير العلمي لهذا العلاج نجد أنه يعمل من خلال أربع آليات:

PDF Complete
Your complimentary use period has ended. Thank you for using PDF Complete.
Click Here to upgrade to Unlimited Pages and Expanded Features

- **أولها**: إثارة وتنبيه مناطق الألم .
- **ثانياً :** تنبيه المناطق العصبية التي لها اتصال بالجلد، أو بم
الجلد في مراكز واحدة. وهناك أمراض معينة يتم التنبيه من أجلها في اسفل الظهر حيث يكون الجلد مشتركاً مع الأعضاء الداخلية في أماكن حسية عصبية واحدة .
- **ثالثاً:** استخدام ردود فعل ، حيث يتم التنبيه في أماكن معينة في الجلد فيحدث ذلك ردود فعل في الأعضاء الداخلية مثل تنبيه الغدد وتنبيه إفرازات الجهاز الهضمي .

والهدف من العملية هو إعادة الدم لنصابه الطبيعي فى الجسم ، هذا بالإضافة إلى إزالة الشوائب والتالف والفاسد من الدم الهرم الذي عجز الجسم عن التخلص منه في أوانه ، مما يعود بالفائدة فى تنشيط الدورة الدموية، ويدر على الجسم وصاحبه علاجاً ووقاية من العديد من الأمراض . ومن المعروف أن الرجل البالغ إذا تخطَّى سن العشرين توقف نموه ، مما ينعكس بدوره سلبياً على نشاط الكريات الدموية ، حيث يزداد الدم الفاسد والهرم في جسم الرجل ويتمركز في أهدأ منطقة في الجسم ألا وهي الظهر، مما يعرقل سريان الدم في الجسم ، وهو ما يعوق عمل الكريات الفتية ، وهذا بدوره هو الآخر ينعكس على الجسم فيضعف ، ويصبح عرضة وفريسة سهلة للأمراض، فإذا احتجم المرء اندفع الدم النقي النشيط يغذي الخلايا والأعضاء كلها ويزيل عنها الرواسب والفضلات والغازات الضارة ، ويترتب على ذلك زال الضغط عن الجسم وزوال الأمراض ، حيث يتمتع المرء بصحة أفضل ويصبح أكثر مقاومة للأمراض .

- **الماكروبيوتك** (Macrobiotic Diet) :

الماكروبيوتك كلمه لاتينية رائعة المعنى، ماكرو تعنى طويل أو مديد و بيوتك تعنى العمر أو الحياة ، اذاً فالمعنى الكامل لها هوالعمر الطويل أو الحياة المديدة. وهذا العلم ليس طباً شعبياً تم بناؤه على تجارب الناس بل هو تطبيق عملى للطب الشرقى العتيق الذى يرجع عمره الى خمسه الاف سنه , هدفه توضيح أن السعادة والصحة وجهان لعمله واحده فالسعادة فى الصحة والصحة فى السعادة ويتحقق ذلك بتطبيق نظام غذائي متوازن. والماكروبيوتك" هو الغذاء الذى يرتكز على موازنة السالب والموجب من أجل موازنة الطاقة الحيوية.

يعتمد هذا النظام الغذائى على الغذاء القليل فى نسبة دهونه والعالى فى الألياف من أجل الارتقاء بالصحة ومنع الإصابة بمرض السرطان وأمراض القلب وغيرها من الأمراض المزمنة لأنه يعتمد على دهون قليلة وألياف عالية . وبصورة عامة الماكروبيوتك نظام غذائي بسيط يدعو للرجوع إلى الطبيعة والابتعاد عن الأطعمة المصنعة والمعلبة وتعود الجذور الأولى للماكروبيوتك للصينيين القدماء عندما لاحظوا أن الغذاء ليس فقط ليبقي الإنسان على قيد الحياة وإنما أيضا ليقي الإنسان من الأمراض ويؤثر كذلك في الصحة و السعادة.

- **فن اليوغا :**

اليوغا هي عبارة عن نظام علمي يضم الوضعيات و الاسترخاء و التنفس و تقنيات التأمل و المبادئ الأخلاقية . ومن خلال ممارسة و ضعيات اليوغا بانتظام يمر الجسم بعملية تطهيرية , فالدم يصبح أكثر غنى بالأوكسجين فيتوزع بشكل حسن في كامل أنحاء الجسم . فعلامات التقدم بالعمر و التوتر و الإجهاد و التعب و الأرق و القلق و الاكتئاب و آلام الظهر و الامساك و الاضطرابات الهضمية يصبح تأثيرها خفيفا جدا على الجسم و في أحيان أخرى تعالج بشكل تلقائي .

و اليوغا تجعل الجسم يأخذ مظهره الحسن و المتناسق , فالعضلات تصبح جميلة و متناغمة فيما بينها كما أن العظام و المفاصل تصبح أكثر مرونة و قوة , فكل أعضاء الجسم تتعرض للتمسيد (المساج) و كذلك يتدفق الدم بحرية أكثر محملا بكمية أكبر عما سبق بالأوكسجين الذي يقوم بدوره أيضا بطرد السموم إلى خارج الجسم , فإذا كان الانسان يتبع نظاما غذائيا سيئا، وقتها ستتراكم السموم داخل الشرايين و العروق و بالتالي ستتعرض خلايا الجسم لهجمات الجراثيم مما يؤدي إلى توقف نسج الجسم مسببا الأمراض .فالسموم المخزنة بداخل أنسجتنا الحيوية تأتي من الأغذية السيئة و المعلبات و المشروبات الغازية وكذلك الكحولية و التدخين مما يؤدي إلى إصابة الجسم بأمراض انحلالية كالروماتيزم و التهاب المفاصل . واليوغا يجعلنا نتخلص من تلك المضاعفات، و بالتالي تتحسن حالة الجسم فيما بعد , كما لا تظهر علامات المرض بشكل كامل على ممارسي اليوغا، لأن الجملة العصبية و

Your complimentary use period has ended. Thank you for using PDF Complete.
Click Here to upgrade to Unlimited Pages and Expanded Features

الغدد الصم تبدآن العمل بشكل فعال أكثر . فممارسة اليوغا يـ
التوتر و الكآبة . و ذلك بفضل مجموعة من التقنيات تجعل الـ
درجات عالية من الإدراك.

و اليوغا هي الفلسفة التي تمنح الإنسان الإحساس الدائم ببهجة الحياة و قدرة السيطرة على الذات يمارسها الملايين الراغبين بالتحرر من القلق و التعب و التوتر و العودة إلى ممارسة أعمالهم الحياتية بشكلها الطبيعي غير المجهد

- أهمية الطب البديل :

إن المضاعفات التي تحدثها المواد الكيماوية في الطب الحديث، بالإضافة إلى عدم قدرة هذا الأخير على قهر بعض أمراض العصر كالسرطان و الأمراض المزمنة. هذا ما جعل ثقة المرضى بالطب الحالي تتراجع، و بدأت الردة باتجاه الطب البديل و وسائله المختلفة، سواء في التشخيص أو المعالجة.و قد عقد في سان باولو عام 1985م، أول مؤتمر دولي للطب البديل[1]، و أعلن أن الطب البديل غير مرتبط بالسحر أو الشعوذة، لكنه مجموعة من الطرق وضعت من أجل إنقاذ حياة الإنسان و يجب أن تعمم في كل المجتمعات.

ومن هذا المنطلق تعزز الفهم بأن الطب البديل هو الحليف الأمين للطب المعاصر في المعركة ضد المرض, ولن يحتل محل الطب الحضاري كما يعتقد البعض, بل يضع بدلائل فقط، وعلى الأقل في الأمراض المستعصية، فمن المعروف لدى الجميع أن ما يعتبره طبيب ما حالة مرضية مستعصية على العلاج يكون عند آخر- ولربما لم يكن طبيبا- حالة قابلة للعلاج وحتى الشفاء.

ويعود العالم بأسره اليوم وبأعلى صوته ينادي بضرورة العودة إليه على ضوء حضاراتنا العظيمة. فلقد مل الغرب أدويته وفقد الثقة بها, وأصبحت حضارته الطبية مرعبة ومخيفة, بعد أن عرف التأثيرات الضارة للماد الكيماوية وللأشعة, وللأيونات, وملوثات البيئة, وللعمليات الفيزيوكيمياوية التي تخضع لها المزاد المصنعة غذائيا ودوائيا, وبدأ يعيد النظر في حضارته العظيمة هذه, وفيما أفرزته من عادات خاطئة, أصبحت روتينا يوميا, وعملا انعكاسيا, ولم يبق للعقل فيه أي دور, فالغرب اعتاد شراء غذائه جاهزا من المخازن, وتخلى عن الأغذية الغضة التي تقدمها له الطبيعة سخية بكل أمان, والغرب اعتاد شراء الأدوية من الصيدليات معلبة ملونة جذابة دون أي تفكير بما تحويه من مواد أولية أو بالكيفية التي صنعت بها حتى وصلت إليه, ولما كان الغرب هو الذي يمسك بأزمة وسائل الإعلام في القرن العشرين وباسم العلم المتمدن, فقد نقل هذه التصرفات إلى العالم النامي الذي بدأ يجترها دون هوادة أيضا.

ولكن الغرب نفسه عرف مواطن الخطأ وبدأ ينحرف عن مساره ويعود إلى الطبيعة الأم الرؤوم التي لا تضن عن أبنائها بالخير ولا بد له من مسيرة طويلة حتى يصل إلى ما يدحض أخطاء مسيرته السابقة.أما العالم النامي والمقلد فان في كل قطر منه طب قديم غني, ومتوارث جيلا عن جيل, مصدره الأساسي الطبيعة النقية أيضا.

والمتخصصون في الطب البديل ليسوا ضد الطب الغربي ولا يدعون إلى ترك الطب الحديث والتوجه كلية إلى الطب البديل فالطب الغربي له أياد بيضاء في التشخيص وفى العلاج وفي الوقاية من الكثير من الأمراض بالتطعيمات المختلفة، وإنما ينادون بإتباع كل ما يساعد في علاج الأمراض وتحقيق الشفاء بوسائل طبيعيه وبأقل التكاليف دون أعراض جانبية، فدعوتهم هي دعوة للتكامل والتعاون بين الأنواع المختلفة من الطب لما يحقق هدف الشفاء وحصول العافية للإنسان.

وغالبا ما تطلق كلمة طب تكميلي حينما يستخدم الطب البديل مع الطب الغربي فى السيطرة أوعلاج احد الأمراض، والحقيقة أن الطب البديل هو الحليف الأمين للطب الغربي المعاصر في المعركة ضد الأمراض وقاية وعلاجا .

1- كارولين غرين، بين الطب الحديث و الطب البديل – ترجمة و تحقيق مركز التعريب و الترجمة، الطبعة الأولى، الدار العربية للعلوم سنة 2000،ص : 163

Your complimentary
use period has ended.
Thank you for using
PDF Complete.
Click Here to upgrade to
Unlimited Pages and Expanded Features

PDF Complete
Your complimentary use period has ended. Thank you for using PDF Complete.
Click Here to upgrade to Unlimited Pages and Expanded Features

الخاتمة

لم يكن العلم في يوم من الأيام حكرا على أي دولة أو قارة أو أمة أو سلالة، وعظمة ما يسهم به العلماء في فترة معينة من فترات التاريخ إنما يقاس بما وصلت إليه المعرفة في تلك الفترة بالذات، حتى نعرف إلى أي قمم جديدة حملت هذا العقول الفذة شعلة العلم والمعرفة في مجال من المجالات، وهذا الحكم إذا أردنا تطبيقه على الحضارة الغربية، وجدنا معرفتها وعلومها مجرد انحطاط للجنس الإنساني. فبعدما أصبحت المرجعية العليا للمعرفة هي المادة... جرى النظر للإنسان بوصفه مادة متطورة في أرقى صورها، ولَكم هي بشعة تلك النتيجة المنطقية لمرجعية المادة أن يصبح الإنسان برغم تمايزه عن أشكال المادة، أن يُردَّ إليها، وتجري معرفته ودراسته على النحو الذي تجري فيه دراسة مواد أخرى كالطين والرماد والبخار. ولقد أخذ الإنسان في القرن العشرين والواحد والعشرين يُعاني من ثمن الحضارة المادية معاناةً شديدةً على مختلف الأصعدة، سواء كانت ماديةً أم نفسيةً أم اجتماعيةً أم سياسيةً وهذا واضح للجميع، ومن ضمن المعاناة معاناة الصحة التي نتجت عن دخول التقنيات الكيماوية والإشعاعية والهرمونية في الطعام والشراب بشكل لم يسبق له مثيل في تاريخ البشرية، فبدأت المشاكل الصحية تزداد وتتفرع، ولم تستثنِ صغيرًا ولا كبيرًا إلا وكان له نصيب من ذلك،

وإذا كانت بعض الدراسات تذكر بأن المستوى الصحي للإنسانية قد تحسّن، فلابد من أن نذكّر بالأمراض التي تنجم عن التلوث واختلال التوازن البيئي. كما أن بعض المجتمعات تنوء تحت المجاعات وسوء التغذية، وبعضها الآخر يعاني من مشكلات التدخين والكحول والمخدرات والأمراض السارية إلخ، لدرجة أن طبيب اليوم ما زال يجد نفسه أمام عبء إنساني كبير. والتخطيط الصحي السليم يقتضي التعامل مع هذه المشاكل مباشرة وبشكل كلي بدلاً من التعامل مع نتائجها. فعلى طبيب المستقبل أن يكتسب طريقة علمية في التفكير. لكنه يجب أن يدرك أيضاً أن المعرفة الطبية ليست تراكماً لحقائق نهائية، وإنما هي بنية من التصورات تشتمل على نظرة للإنسان والعالم. كما يجب أن يتوجه تعليم الطب إلى الطبيب روحاً وقالباً، فيعلمه احترام الإنسان والطبيعة والعلاقة بينهما. ويجب أن ينمي لديه الصفات الخاصة بالذكاء، كالمراقبة والتجريد والتفكير المنطقي، إضافة للملكات المتعلقة بالأصالة كالتصور والخيال والإبداع واستقلالية الفكر. تشكل هذه الصفات روح المبادرة والمثابرة والجرأة والإخلاص وهي ضرورية للطبيب. وكل هذه الأسس نجدها في الطب البديل، وما ظهور هذا الأخير وازدياده المطَّرد برغم المعاندين له وبرغم المستغلين له هو دلالة واضحة على أنه يندرج

Your complimentary use period has ended. Thank you for using PDF Complete.
Click Here to upgrade to Unlimited Pages and Expanded Features

ضمن دورات العلم التي تجتاح العالم والمجتمع الإنساني مع
الإنساني على مرِّ العصور ولا داعيَ لمهاجمته من قِبل البعض واتهامه جزافاً بتهم هو بريء منها، بل ينبغي التعامل معه من منطلق مصلحة المريض الذي لا ينام الليل ولا يهنأ بالنهار، يركض من طبيب إلى طبيب، ومن مستشفى لآخر رغبةً في العافية دون جدوى، فلا نحرمه طرقًا أخرى من العلاج قد يكون له فيها الشفاء والراحة والسعادة فيعود فردًا منتجًا ناجحًا في مجتمعه.

والدعوة إلى الطب البديل ليست دعوة ضد الطب الغربي ولا دعوة إلى ترك الطب الحديث والتوجه كلية إلى الطب البديل فالطب الغربي له أياد بيضاء في التشخيص وفى العلاج وفي الوقاية من الكثير من الأمراض بالتطعيمات المختلفة، وإنما هو نداء لإتباع كل ما يساعد في علاج الأمراض وتحقيق الشفاء بوسائل طبيعيه وبأقل التكاليف دون أعراض جانبية، فهي اذن دعوة للتكامل والتعاون بين الأنواع المختلفة من الطب لما يحقق هدف الشفاء وحصول العافية للإنسان73

فعلى الطب في المستقبل أن يعنى بالصحة وليس بالمرض فقط. وهذا يتطلب من الإنسان أن يؤمن أولاً بأن صحته تستحق أن تعاش، وأن حياته جزء من كل أوسع وأشمل يجب المحافظة عليه، ومن ثم أن يضطلع الطبيب بدوره الإنساني والاجتماعي. وعندها لن تكون تسمية الطب بالطبيعي أو الإيكولوجي مستغربة، كما أن التقاء الطب في ماهيته مع العديد من المنقولات الروحية لن يكون مفاجئاً. وحتى ذلك اليوم، نبقى في انتظار أن يتحول الطب من إضافة المزيد من السنوات لحياتنا إلى إضافة المزيد من الحياة إلى سنواتنا.

PDF Complete
Your complimentary use period has ended. Thank you for using PDF Complete.
Click Here to upgrade to Unlimited Pages and Expanded Features

– المراجع و المصادر :

1– محمد عابد الجابري، التراث و الحداثة..دراسات و مناقشات، الطبعة الثانية، بيروت حزيران/ يونيو 1999.

2– عبد الحسن فاعور، الطب التجانسي – الجزء الأول الطبعة الأولى، الدار العربية للعلوم : 1420ه 2000م .

3– توفيق الحاج يحيى، النبات و الطب البديل الطبعة الأولى ،الدار العربية للعلوم،1424 ه – 2003 م

4– دافيد رشتاين، آفاق الطب الحديث، – ترجمة محمود الأكحل ، دار الآفاق الجديدة– بيروت.

5– أحمد محمود صبحي، و محمود فهمي زيدان، في فلسفة الطب – تقديم محمود مرسي عبد الله ، دار النهضة العربية للطباعة و النشر– بيروت.

6– سليمان عزمي باشا، على هامش الطب، الجزء الثالث، الطبعة الأولى، مكتبة النهضة المصرية سنة 1949.

7– كارولين غرين، بين الطب الحديث و الطب البديل – ترجمة و تحقيق مركز التعريب و الترجمة، الطبعة الأولى، الدار العربية للعلوم سنة 2000.

8– آمينة فؤاد زهر الدين، بواكير الطب الحديث، كنوز الصحة و يواقيت المنحة– شرح و تعليق : د يوسف فؤاد زهر الدين– دار الفارابي– لبنان، 2006.

9– عدنان علي رضا النحوي، نظرية تقويم الحداثة ،الطبعة الأولى – دار النحوي للنشر والتوزيع سنة 1992م .

10– علي وطفة، مقاربات في مفهومي الحداثة وما بعد الحداثة، مجلة فكر ونقد –عدد (34)

11– توماس كون، بنية الثورات العلمية– ترجمة شوقي جلال، عالم المعرفة 168، الكويت 1992.

12– محمد زهير البابا، من مؤلفات ابن سينا الطبية رسالة في الأدوية القلبية ، معهد التراث العلمي العربي، 1984.

13– فيليب عطية، أمراض الفقر، عالم المعرفة 161، الكويت 1992.

14– ستيوارت هامبشير، عصر العقل، ترجمة ناظم طحان، دار الحوار، اللاذقية سنة 1986.

15– كلود برنار، مدخل لدراسة الطب التجريبي، ترجمة عمر الشارني، دار بوسلامة للطباعة والنشر والتوزيع، تونس 1982.

16– صلاح قنصوه، فلسفة العلوم، دار التنوير، بيروت 1983.

Your complimentary use period has ended. Thank you for using PDF Complete.
Click Here to upgrade to Unlimited Pages and Expanded Features

17- ندره اليازجي، المبدأ الكلي، دار الغربال، دمشق – الم
18- ابن قيّم الجوزية : الطبّ النبوي، تحقيق عبد الغني عبد الخالق، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، 1957.
19- محمد الشيخ الطائري، مقاربات في الحداثة و ما بعد الحداثة- حوارات منتقاة من الفكر الألماني المعاصر، الطبعة الأولى ، بيروت ، 1996.
20- بيتر بروكر، الحداثة و ما بعد الحداثة ، ترجمة د : عبد الوهاب علوب، مراجعة د : جابر عصفور، الطبعة الأولى، منشورات المجمع الثقافي،1995.
21- معن زيادة، معالم على طريق تحديث الفكر العربي، عالم المعرفة ، العدد 115.
22- هنري لوفيفر، ما الحداثة، ترجمة كاظم جهاد، دار ابن رشد للطباعة و النشر- 1983.
23- رايموند ويليامز، طرائق الحداثة، ترجمة فاروق عبد القادر، عالم المعرفة العدد 246
24- د. فيليب عطية، أمراض الفقر، عالم المعرفة 161، الكويت 1992
25- كلود برنار، مدخل لدراسة الطب التجريبي، ترجمة عمر الشارني، دار بوسلامة للطباعة والنشر والتوزيع، تونس 1982،
26- د- صلاح قنصوه، فلسفة العلوم، دار التنوير، بيروت 1983

_ المواقع الالكترونية

-http://groups.google.com/group/miswak-researches/10/06/25
-Hegama Association G.S./10/06/30
- http://groups.google.com/group/hijama-cupping/10/07/11
-Islamic Researches on Diabetes Association/10/07/15
-http://groups.google.com/group/diabetes-discusstions10/08/03
-http://www.ahrp.org/infomail/10/08/12.php
http://today.reuters.com/news/newsArticle.aspx?type=scienceNews&storyID /10/10/27

Your complimentary use period has ended. Thank you for using PDF Complete.
Click Here to upgrade to Unlimited Pages and Expanded Features

- الشكل1 :

تتكون نفايات وقمامة المستشفى من الأتي:

- الشكل2 :

تتكون المخلفات الطبية (20 %) من الأتي:

- الشكل3 :

مكونات المخلفات الغير طبية:

Your complimentary use period has ended. Thank you for using PDF Complete.
Click Here to upgrade to Unlimited Pages and Expanded Features

- الشكل4 :

:

Your complimentary use period has ended. Thank you for using PDF Complete.
Click Here to upgrade to Unlimited Pages and Expanded Features

- الشكل5 :

Your complimentary use period has ended. Thank you for using PDF Complete.
Click Here to upgrade to Unlimited Pages and Expanded Features

- الشكل6 :

Your complimentary use period has ended. Thank you for using PDF Complete.
Click Here to upgrade to Unlimited Pages and Expanded Features

الملخص:

هدا البحث هو محاولة لدراسة و تبيان حيثيات الطب البديل، من حيث المفهوم و الأسس و الفروع في البداية تطرقنا إلى الحداثة و العلاقة بينها و بين موضوع البحث تتمحور في أن غالبية فروع الطب البديل هي امتداد للطب القديم، و حين جاءت الحداثة ألغت كل هده المفاهيم و الأسس الفكرية التي انبنى عليها الطب القديم. و قسم هده الدراسة إلى أربعة فصول، في الفصل الأول إلى الحداثة كمفهوم و من حيث النشأة و الظهور، إما الفصل الثاني فوضحنا في ماهية الطب القديم كفلسفة قائمة بذاتها أما الفصل الثالث و الرابع، أوضحنا حقيقة الطب البديل مع توضيح كامل فروعه.

الكلمات المفتاحية:

الطب البديل؛ الحداثة؛ الطب القديم؛ الطب الحديث؛ المريض؛ الطبيب